٦٥

نسمات القرب

العارف بالله تعالى

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

الكتاب الخامس والستون

من مؤلفات الشيخ المطبوعة

نَسَمَاتُ القُرْبِ

العارف بالله تعالى

الشيخ فَوْزى مُحَمَّد أبُوزيد

الكتاب الثانى عشر من سلسلة دراسات صوفية معاصرة

صـدر منها: الصوفية و الحياة المعاصرة - الصفاء والأصفياء. أبواب القرب و منازل التقريب - الصوفية فى القرآن والسنة المنهج الصوفى والحياة العصرية - الولاية والأولياء موازين الصادقين - الفتح العرفانى - النفس وصفها وتزكيتها سياحة العارفين - منهاج الواصلين - نسمات القرب.

دار الإيمان والحياة



إسم الكتاب	نسمات القرب
المؤلف	العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد
الطبعة	الأولى
التاريخ	٢٤ مارس ٢٠١١م، ٢٠ ربيع ثانى ١٤٣٢هـ
رقم الكتاب	الخامس والستون
صفحات	١٤٤ صفحة ١٥سم*٢١ سم
الورق	٨٠ جم طباعة لون واحد أسود
الغلاف	كوشيه لميع ٢٥٠ج، ٤ لون سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ش ١٠٥ المعادى القاهرة ج م ع ، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠ ٢ ٠٠٢٠، فاكس: ٢٥٢٦١٦١٨ ٢ ٠٠٢٠
طباعة	مطابع النوبار بالعبور
إيداع محلى	٢٠١١/٥٥٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ولى الصـــالحين والصــلاة والســلام على ســلطان المقربين وقدوة الصالحين سيدنا محمد نور الصدق وبحر اليقين وآله وصحبه اجمعين.

وبعد ..... هـذه مجموعـة لقـاءات بيننـا وبين ثلـة مبـاركـة من الرجـال الصــادقين، الذين تدفعهم الرغبة الأكيدة فى متابعة ســيد الأولين والآخرين، وترغب قلوبهم وتهفوا أرواحهم إلى نيل العطاءات التى يتفضـــل الله تعالى بها على عباده الصالحين، وكانت هذه اللقاءات الشهرية فى مقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله تعالى بالمعادى.

وقد ركزنا فيها على كيفية التأســى برســول الله ﷺ ، والأطوار التى يتنقل فيها الســالك فى ســلوكه إلى الله ﷻ، والمنهج الذى يمشــى عليه المريد فى جهاده لنفســه، وفطمه لجوارحه عن الشـهوات، وصـولاً لتزكية النفس وكمال الحضـور بين يدى الله ﷻ.

وألمحنا إلى شــئ من العطاءات الإلهية التى تُمنح لأهل هذا المقام، وقد بيَّنا درجات الكشـــف التى يرتقى فيها الواصـــل حتى يتم له مقام الرجولية عند الله ﷻ والمشار إليه بقوله سبحانه:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ [٢٣ الأحزاب]

وذلك لرغبة النفوس العلية بشدة وتطلعها لهذا المقام.

والكلام فى هذه المعانى وإن كان يحتاج إلى النفوس الملكوتية، والقلوب التقية النقية إلا أننا حاولنا جهدنا تقريب هذه المعانى وتبسيطها لأهل مقام الإحسان والإيمان مع الإستشهاد فى كل أمر بالآيات القرآنية والأحاديث الصحاح النبوية وأقوال الأئمة والصالحين.

وقد سميناه (نسمات القرب) لأن ما فيه من معانى إنما هى نسمات من المعارف الإلهية والعلوم الربانية تلوح حقائقها فى صدور المقربين بحسب ما قدَّر الله من الأرزاق الوهبية للسامعين تُترجم بها ألسنة العارفين بعبارات يسهل فقهها وفهمها للسامعين، وهى من باب قول الله ﷻ[٤٩ العنكبوت]:

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾

ومن فضل فيضه سبحانه [الكهف]:

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

والله نســـأل أن ينتفع به كل من قرأه أو طالعه، وأن يجعله تبياناً للنفوس ونوراً للقلوب وشفاء لما فى الصدور.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مساء الخميس: ١٣ من صفر ١٤٣١ هـ

٢٨ من يناير ٢٠١٠ م



🖂: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية

☏: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩، ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠ :🖶

www.fawzyabuzeid.com :

fawzy@fawzyabuzeid.com :

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com

نسمات التوبة!

العقبات والعوائق التى تعطل السالك فى طريق الله [١]

ترك سنة الستر الجميل والنصح بالمعروف

المهلكات الثلاث

أولاً: شح مطاع

ثانياً: هوى متبع

ثالثاً: إعجاب المرء بنفسه

[١] المعادى – الخميس، ١٣ من ربيع الثانى ١٤٣٠ هـ، ٩ أبريل ٢٠٠٩م

نسمات التوبة!

العقبات والعوائق التى تعطل السالك

فى طريق الله

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين ... نريد أن نتناول جانباً آخر لم نتعرض له من قبل فى أحوال الصالحين والسالكين والناهجين على منهج الحق فى كل وقت وحين، يتضح هذا المنهج فى إمام من أئمته وهو سيدنا أبو حذيفة ﷺ، فقد كان يقول:

{ إِنَّ أَصْحَابَ النَّبِي كَانُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُ عَنِ الشَّر مَخَافَةَ أَنْ أُدْرِكَهُ }[٢]

ترك سنة الستر الجميل والنصح بالمعروف

فلما علم رسول الله منه ذلك وحرصه عليه، خصه بعلم ديوان المنافقين، بأسمائهم وأوصافهم ونعوتهم، وأوصاه بكتمان هذا السر فلا يبح منه لأحد حتى ولو كان من خاصة الملازمين لسيدنا رسول الله ﷺ.

٢ عن حذيفة بن اليمان، جامع المسانيد والمراسيل

وحذره بألا يبيح بإسم رجل منهم قبل موته حتى لا يؤذيه فى حياته، وحتى لا يؤلب عليه الخلق لأن ديننا دين الستر وأمرنا بالستر الجميل، وفيه يقول الأستاذ النبيل ﷺ:

{ مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ }[٣]

انظر، ما العمل الذى تستوجب به أن يسترك الله فى الدنيا ويسترك فى الآخرة؟ .... لا هو طاعات ولا عبادات ولا جهاد ولا تكليفات!!

وإنما مراعاة مشاعر المسلمين، وتستر على من رأيته على خطيئة من المسلمين فلا تفضحه أمام الخلق، وإذا أردت أن توجه له نصحاً فليكن همساً وفى أذنه بحيث لا يسمع غيره حتى لا تفضحه وتسبب له حرجاً أمام الخلق، وليكن بأسلوب حكيم حتى لا ينفر منك، تبتدأ بأن تمدحه بخير ما فيه فيلين لك وينصت لك، فإذا مدحته بخير ما فيه نوهت برفق ولين إلى الذى تريد أن تنوه عليه مما لا ترضاه من قوله أو فعله أو حاله، وهنا تكون الإستجابة محققة لك لأن هذا هو المنهج الذى يقول فيه الله [١٢٥ النحل]:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾

٣ مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن أبى هريرة.

وأراد أصحاب رسول الله ﷺ بعد أن نزل قول الله ﷻ فى المنافقين:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [٨٤ التوبة]

فأرادوا الإلتزام بتحقيق هذه الآية بألا يصلوا على المنافقين، فطلبوا وألحوا مراراً وتكراراً على كاتم السر وصاحب السر أبوحذيفة ليخبرهم ولكنه لم يكن يبيح بسر رسول الله ﷺ أبداً.

حتى أن عمر ﷺ بعد أن ألح عليه - قال: يا أمير المؤمنين لا تكثر علىَّ فلن أخبر وأفشى سر رسول الله ﷺ أبداً، فاضطر إلى أن يسلك مسلكاً إذا رأى أبا حذيفة فى المصلين على الجنازة دخل وصلى!وإذا لم يره اعتذر بأى عذر جميل عن الصلاة على هذا الإنسان.

وهذه رحمة من النبى العدنان حتى بمن تظاهروا بالإيمان وأضمروا الكفر والشقاق والنفاق لأنه رحمة مهداة ونعمة مسداة للخلق أجمعين ﷺ.

وسأله عمر: يا أباحذيفة أفىَّ نفاق؟ قال: يا أمير المؤمنين لا أفشى سر رسول الله، ويذهب عمر وبعد أيام تطول أو تقصر يسأله: يا أباحذيفة أفىَّ نفاق؟ ... فيقول: يا أمير المؤمنين لا أفشى سر رسول الله، حتى طعن عمر بالخنجر وهو ذاهب لصلاة الصبح ونزل منه الدم وقال: يا أباحذيفة أفىَّ نفاق؟ قال: يا أمير المؤمنين لا أفشى سر رسول الله، فلما خرج الدم من بطنه واتضح له أن عمر لا شك ملاقياً ربه، قال يا أباحذيفة أفىَّ نفاق؟

قال: لا يا أمير المؤمنين ولا تسـألنى عن شـئ بعدها ولا أبيح سـراً لرسـول الله بعدك أبداً - أى لم يخبره إلا وهو خارج للقاء ربه ﷻ حرصـاً على كتمان سـر رسـول الله ﷺ -

فكان أبوحذيفة يسأل رسول الله ﷺ عن الشر لكى يتجنبه.

والســالك الذى يريد أن يطوى ما بينه وبين مولاه من بعد، ويكون من أهل الود والقرب لابد أن يبدأ أولاً بالتعرف على العوائق التى تعوقه عن السير إلى مولاه وعن المهلكات التى تجعله يضيع سعيه وجده واجتهاده وطاعته فى زعمه لمولاه.

ولذلك ركز الصالحون على هذه الحقائق من البداية، السالكون يركزون على ما يعملون، الخير الـذى يعملونـه والبر الـذى يؤدونـه والأوراد التى يقومون بهـا، لكن المخلصــون يحرصــون على معرفة العوائق والأخطار التى تعوقهم عن الســير إلى الواحد القهار ﷻ.

المهلكات الثلاث

وأهم هذه العوائق، نأخذ منها حديثاً صحيحاً يقول فيه ﷺ:

{ ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَىً مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ }[٤]

٤ رواه الإمام عبدالله بن عمر ﷺ، وروى فى الجامع الصحيح للإمام السيوطى ﷺ، وفى الأوسط للطبرانى ﷺ

هذه هى أساسيات العارفين، فنحن قد بدأنا بهؤلاء على خلاف الكثيرين من أهل الطريق ولكن لأجل أن نكون من أهل:

{ اخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقليلُ }٥

وانظر إلى الحبيب عندما يقول "ثلاث مهلكات" أى تهلك الإنسان أى تضيع عمله ولا يتحقق أمله طالما فيه خصلة من هذه الخصال، أى لابد أن يتطهر أولاً من هذه الخصال ثم يعمل عمل البر أو يعمل النوافل والقربات لله ﷻ لأن الفرائض لا يتخلى عنها الإنسان على أى حال وفى أى زمان كان.

أولاً: شح مطاع

الأولى شح مطاع: طبيعة النفس البشرية الشح، وفيها يقول الله ﷻ:

﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ [١٢٨ النساء]

فطبيعة النفس طبعت على الشح وعلى الأثرة وعلى الأنانية وعلى حب التملك وإن كان هذا المرض زاد وزادت حدته فى زماننا الآن، حتى تلمسه مع الصغار فى بداية الأطوار، فكل طفل حريص على التملك ونسوا الإيثار ونسوا خُلق الكرم الذى يحبه الكريم الغفار ﷻ.

٥ رواه الحاكم وابن أبي الدنيا عن معاذ.

فطبيعة النفس الحرص والإمساك والشح، والله ﷻ مدح الأنصار فى قوله عز شأنه فى [٩ الحشر]:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾

أى لا فلاح إلا بعد أن يتخلص الإنسان من خلق الشح، ولذلك يقول سيدى عبدالوهاب الشعرانى ﷺ: "أقبح القبيح صوفى شحيح" إذا كان الشح يجوز أحياناً عند بعض الأفراد إلا أنه لا يجوز عند أهل القرب وعند العُبَّاد وعند الزهاد وعند العاملين الراغبين فى الوداد من الله ﷻ، ويقول ﷺ موضحاً حقيقة الإسلام:

{إنَّ الله اسْتَخْلَصَ هذا الدِّينَ لنَفْسِهِ، فَلا يَصْلُحُ لدينِكُمْ إلاَّ السَّخَاءُ وحُسْنُ الخُلقِ، ألا فزيِّنوا دِينُكُمْ بِهِما} [٦]

وأنتم تعلمون جميعاً أن مجتمعات المسلمين الأولى كانت مجتمعات نموذجية كل مشكلاتها حلت بخلق الإيثار والكرم والإنفاق طلباً لإرضاء الكريم الرزاق ﷻ، ومعظم المشاكل الإجتماعية المعاصرة لن تُحل إلا إذا تحلى الأغنياء بخلق الإنفاق وتطهروا من شح النفس وعملوا على إسعاد إخوانهم، لا القوانين تستطيع أن تسوقهم إلى ذلك ولا المجتمعات تستطيع أن تدفعهم رغماً عنهم إلى ذلك، ولكن الذى يسوقهم إلى ذلك الإيمان والرغبة فيما عند الرحمن ﷻ، ولن يحل مشاكلنا إلا هذا الخُلق الكريم الذى ربى عليه رسول الله ﷺ أصحابه الكرام.

---
٦ رواه الطبراني في الأوسط عن عمران.

وجعل رســول الله ﷺ الرتبة العليا فى منازل العناية والولاية عند الله لمن تطهر من الشـح، حتى أن الله جعل الحكمة الأولى من الزكاة فى كتاب الله واضـحة جلية فى قول الله [١٠٣ التوبة]:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

تطهرهم من الشح والبخل والإمساك والتقتير:

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴾ [١٠٠ الإسراء]

وإذا تطهر الإنســان من هذه الأوصــاف فقد زكت نفســه وأصــبح إنســان زاكياً وزكياً عند الله ﷻ، حتى قالوا فى أصحابه الكرام: جعل الله الدنيا والمال فى أيديهم ولم يجعلها فى قلوبهم، فكانت الدنيا هينة لينة عندهم، لا يســـتغلون أوقات الأزمات للثراء الفاحش ولكن يستغلونها لينالوا المناصب العالية فى القرب من الله.

انظر إلى عثمان بن عفان ، بعد هجرتهم إلى المدينة وجد أن الماء الذى يشربه المسلمون فى المدينة من بئر يسيطر عليها رجل يهودى ويبيع لهم الماء، وأراد أن يحرر المسلمين من هذا ففاوض الرجل على أن يشترى البئر منه فرفض الرجل، فأخذ يفاوضه حتى ارتضى أن يشاركه ويكون لكل رجل منهم النصف،

وبعد أن اشــترى نصــف البئر بإثنى عشــر ألف درهم اتفق معه على أن يكون لكل رجل منهما يوم، وأذاع بين المســـلمين أن يشـــربوا ويملأوا آنيتهم فى يومه فلا يحتاجون أن يذهبوا إلى البئر فى يوم اليهودى، فأصيب اليهودى بالكساد لأنه فى يومه لا يجد من يشــترى منه الماء، فذهب إلى عثمان وعرض عليه أن يشــترى النصــف الآخر من البئر ولكنه رفض، فظل يســاومه حتى اشــترى نصــف البئر الآخر بأربعة آلاف درهم مع أنه اشترى النصف الأول بإثنى عشر ألفاً! لماذا؟ ... نزلت قيمته لأنه جعله لله ﷻ ولإخوانه المســلمين، لم يســتغل حاجتهم إلى الماء ورفع ســعره بل جعله صـــدقة جارية، ولذلك قال فيه ﷺ:"من يشـــترى بئر روما وله الجنة" فقام عثمان بهذا العمل، فقال ﷺ: "لا على عثمان شيئاً بعد هذا اليوم"

ومع ذلك لم يكتفِ بذلك فقد حدث قحط فى المدينة ولم يكن عند التجار ولا فى البيوت حفنة من الدقيق، وفى هذه الأثناء وفد إلى المدينة ألف جمل محملة بالدقيق من بلاد الشـــام تجارة لعثمان، وذهب تجار المدينة إليه يعرضـــون عليه أن يدفعون له ضعف ثمنها فرفض، فعرضوا عليه الضعفين فرفض وقال: جاءنى من يشترى بأكثر من هذا، فنظروا إلى بعضهم وقالوا: ومن الذى جاءك ونحن تجار المدينة كلها؟ قال:

أشـــهدكم أنى جعلتها صـــدقة على فقراء المســلمين وبعتها بعشــر أمثالها لرب العالمين ﷻ.

لن تفك مشاكل هذا الزمان إلا بأناس من هذا الصنف من الرجال، الذين يرجون ما عند الله، ويطلبون رضا الله والدار الآخرة، فبهم تحل هذه المشكلات وتنتهى هذه الأزمات، ولذلك يقول فيهم ﷺ مبيناً مقامهم:

{إِنَّ بُدَلاَءَ أُمَّتِي لَمْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلاَ صَلاَةٍ، وَلكِنْ دَخَلُوهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَسَلاَمَةِ الصَّدْرِ، وَسَخَاوَةِ الأَنْفُسِ، وَالرَّحْمَةِ لِجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ}[٧]

ومقام الأبدال وهو أعلى المقامات فى الرجال بعد الأفراد والصديقين والنبيين والمرسلين، فنالوا هذا المقام بشيئين سلامة الصدور من النفاق ومن الغش ومن الخداع ومن الحقد ومن الحسد وغيرها، والإنفاق والإيثار طلباً لمرضاة الله ﷻ.

وهنا ميزان يجعله السالك لنفسه، إذا وجدت المال عزيزاً عليك، لا تستطيع أن تتصرف فيه أو تخرجه بسهولة، وإذا خرج من عندك تتبعه نفسك وربما تندم عليه وربما تتحسر على فعله، فاعلم أنك فى هذا المقام تحتاج إلى وقفة قبل أن تقبل على النوافل والأوراد والطاعات لتتخلص من هذا الخُلق أولاً حتى يصير المال فى كفك هيناً ليناً سهلاً مادمت تنفقه فى الله ولله، ويكون المال عسيراً وشديداً إذا أنفقته فيما يغضب الله، ولذلك قالوا: (لا سرف فى الخير) لو الإنسان أنفق ماله فى الخير فلا إسراف ولو أنفقه كله، فإن أبابكر أتى بماله كله لرسول الله، فقال ﷺ له:

٧ الحكيم وابن أبي الدنيا في كتاب السخاء (هب) عن الحسن مرسلاً.

{مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قال: أَبْقَيْتُ لَهُمُ الله وَرَسُولَهُ}[8]

فأقره ولم يعترض عليه، لكن الإنسان لو أنفق قرشاً واحداً فى الشر فقد أساء وقد جعل نفسه فى هم وغم ونكد فى الدنيا ويوم العرض والجزاء، لو أنفق قرشاً واحداً فيما يغضب الله كأن ينفقه فى المسكرات أو المخدرات أو على النساء أو ما شابه ذلك.

فالقرش الواحد هنا يكون حسرة وندامة على الإنسان لأنه يشترى بنفسه سوء الجزاء ويشترى بنفسه جهنم والعياذ بالله ﷻ إن لم تتداركه توبة من الله ويقبل الله ﷻ به عليه، فإذا كان المال هيناً ليناً فى يدك فى الخير فأبشر فأنت من أهل البر.

فالشح هو الداء الأول الذى لابد أن يتخلص منه الإنسان قبل أن يبدأ السير والسلوك إلى حضرة الرحمن ﷻ، والشح المطاع فى زماننا هذا أن الإنسان تسول له نفسه أن يصرف ما شاء على نفسه وعلى أولاده ولا يحاسب نفسه على ذلك، بل أنه يلتمس العذر لنفسه فى ذلك ويقول كما يقول بعض الناس: من وسع على عياله وسع الله عليه، التوسعة على العيال وعلى نفسك مشروطة بشروط صحيحة فى كتاب الله.

الشرط الأول: أن يكون هذا المال الذى حصلته من حلال وليس من حرام، الشرط الثانى: أن تنفقه فى حلال أحله الله، فليس من التوسعة على نفسك أن تشترى به شيئاً يغضب ربك ﷻ، الشرط الثالث: أن يكون ليس فيه إسراف لأنه لا يحب المسرفين، قال ﷺ:

---

٨ سنن الترمزي وأبوداود عن عمر.

{كُلوا وَاشْرَبوا وَتَصَدَّقوا في غَيْرِ سَرَفٍ وَلا مَخْيَلَةٍ}[٩]

أى ولا خيلاء وزهو، والإسـراف أن تأتى بطعام يكفى لعشـرة وتقدمه وأنت وزوجك وولدك ثلاثة، والباقى يلقى فى الطريق، فهذا لا يليق بمسلم يؤمن بالله ويمشى على منهج رسول الله ﷺ، وإنما منهج المؤمنين ما قال فيه سيد الأولين والآخرين:

{ طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الإِثْنَيْنِ. وَطَعَامُ الإِثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ. وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ}[١٠]

أى تقلل قليلاً لأن الإنسان إذا أكل كلَّ ما يشـتهيه أصـيب بالتخمة، وكلكم يعلم جيداً أن معظم أمراض العصـر من السـمنة والتخمة، فلو تحامى التخمة وأكل قليلاً فسـيظل سـليماً معافاً فى بدنه يجد الخشـوع فى الطاعات لربه ويقبل على الله ﷻ إقبال الأولين الصالحين لأنهم كما قال ﷺ فى شأنهم:

{ نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع فمن أين يأتينا المرض }[١١]

الشرط الرابع: ألا يكون فيه زهو أو فخر أو خيلاء، لأن الإنسان فخره وخيلاءه بخُلقه وأوصافه وتعامله،

٩ المستدرك على الصحيحين عن عمرو بن شعيب.
١٠ صحيح مسلم عن جابر.
١١ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون.

وليس بما يدخله فى بطنه أو بما يضعه على جسمه من ملابس أو يفرشه فى بيته، إنما الأساس الأول فى ذلك كله خُلقه وأوصافه فى تعامله مع الآخرين فهى التى عليها المعول فى الدنيا وعند رب العالمين ﷻ .... إذاً الخُلق الأول الذى ينبغى أن يتطهر منه أى مريد هو الشح والتقتير، قال ﷺ:

{ السَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ الـجَنَّةِ أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّـيَاتٌ فِـي الدُّنْـيَا فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنًّا قَادَهُ ذٰلِكَ الْغُصنُ إِلَى الـجَنَّةِ، وَالْبُخْلُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ النَّارِ أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنْيَا فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذٰلِكَ الْغُصْنُ إِلَى النَّارِ }[١٢].

وروى عن سيدنا أنس أنه قال فى شأن هذا الحديث فى السخاء أنه : { أَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ }، وقال: {السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنْ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ}[١٣]

ولذلك يقول سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى ﷺ:

(تصدَّق فى كل يوم ولو بأقل القليل لتكتب فى هذا اليوم فى ديوان المتصدقين).

ويقول ﷺ: {ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلَكانِ يَنزِلانِ فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقاً خَلَفا، ويَقولُ الآخَرُ: اللّهمَّ أعطِ مُمسِكاً تلَفاً}[١٤]

١٢ (قط) فى الأفراد، (هب) عن على، (عد هب) عن أبى هريرة، (حل) عن جابر، (خط) عن أبى سعيد، (ابن عساكر) عن أنس، (فر) عن معاوية.
١٣ رواه الترمذي عن أبي هريرة.
١٤ صحيح البخارى عن أبي هريرة.

إذاً لابد للإنسان إذا أراد أن يكون من المقربين أن يكون من الأسخياء ومن الأجواد ومن أهل الإكرام ومن أهل الصدقات ومن أهل الإنفاق بكل ما يملك، إن كان يملك مالاً أنفق من ماله وإن كان يملك جاهاً أو منصباً أنفق من جاهه على الضعفاء والمساكين ليقضى لهم الحوائج طلباً لرضاء رب العالمين ﷺ، وإن كان معه علماً لابد أن يجعل فى علمه هذا صدقة، إن كان مدرساً ويعطى دروساً لابد أن يجعل نصيباً منها للفقراء والمساكين، وإن كان طبيباً لابد أن يجعل قدراً أو سهماً فى عيادته للفقراء والمستضعفين والمساكين، وإن كان عالماً يأخذ أجراً على علمه لابد أن يكون له دروساً لوجه الله يعلم بها المحرومين والمحتاجين

﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [٧ الطلاق]

أى ليس الإنفاق من المال فقط ولكن من كل شئ تملكه لابد أن يكون لك فيه إنفاق حتى تكون من الذين يقول فيهم الله:

﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [٣ البقرة]

ولا ينتهى من هذا الجهاد إلا إذا علم أن كل ما عنده هو ملك لله وأنه يتصرف فى هذه الأمور بالنيابة عن مولاه، فالله ﷻ عندما أعطانا كل ما فى الدنيا قال لنا:

﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [٧ الحديد]

فأنت خليفة عن الله فى هذا المال، لو كان المال مالك ما حاسبك عليه ربك، لكن لأن المال مال الله يحاسبك عليه، يسألك عليه مرتين من أين اكتسبته؟ وفيما أنفقته؟ لو كان المال مالك وأنفقته فى احتساء الخمر لا يحاسبك عليه الله، ولو أنفقته فى المسكرات والمخدرات لن يحاسبك عليه الله، لكن لأن المال مال الله يحاسبك عليه الله، من أين اكتسبته؟ أى من حلال أم من حرام؟ وفيما أنفقته؟ أى فى حلال أم فى حرام؟ إذاً فالمال مال الله والخلق خلق الله وأنا آخذ من المال ما يكفينى ولابد أن أجعل منه نصيباً لخلق الله، ولذلك يقول الله ﷻ فى حديثه القدسى:

(الأغنياء وكلائى والفقراء عيالى فإذا بخل وكلائى على عيالى أذقتهم نكالى ولا أبالى)

هذه أول صفة من صفات المتقين، ولذلك انظر فى صحف الأولين وفى الأحياء المعاصرين، لا تجد أبداً رجلاً أكرمه الله ﷻ بولايته وبتقوى الله وبمودة الله وهو شحيح أو بخيل، لأن الله كريم يحب كل كريم، فلابد أن يتطهر الإنسان من خلق البخل.

وإذا أخرج الإنسـان ما عليه من الزكاة إذا كان عنده ما يستوجب به الزكاة فهذا هو الحد الأدنى، لكن من أراد العلا لابد أن يكون له إنفاق وصـدقات غير الزكاة، لأن الزكاة فريضــة فرضــها الله، وحتى لو أخرج الإنســان الزكاة مضــبوطة فربما يكون حســابه منخرماً فيكون عليه دين وهو لا يعلم، فلذلك لابد أن يزيد عليها الإنســان ولو قليلاً حتى يضمن أنه أدى ما عليه لمولاه ﷻ، قال ﷺ:

{ لِكُل شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّوْمُ} ،{ لِكُل شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الدَّارِ بَيْتُ الضيَافَةِ }[١٥]

فالبيت الذى لا يدخله ضيوف هو ليس من بيوت الرحمن الذين يتنزل الله ﷻ لهم بالمعانى الحسان وبالفتح وبالرضوان.

لابد أن يكون المؤمن لا يتعلق قلبه إلا بربه، والمال فى يده وسـيلة وليس غاية، إذا جعل المسـلم المال غاية فسـد حاله وضـاع شـأنه، لكن إذا جعل المال وسـيلة لنيل رضاء الله وللعمل الصالح الذى طلبه الله وللحصول على المناصب العالية مع رسول الله ومن تبعه برضوان من أصحابه الكرام، إذا جعلت المال وسيلة وليس غاية سعدت وسعد بك كل من حولك.

---

١٥ الرافعي عن ثابت في جامع الأحاديث، والثانى (كر) عن أنس ﷺ.

ثانياً: هوى متبع

لابد أن يتخلص الإنسان إذا أراد أن يكون من عباد الرحمن من الهوى النفسى، من الهوى لمنفعة عاجلة أو لدنيا زائلة ،ويكون هواه كما يقول سيدنا رسول الله:

{ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ }[١٦].

ولتقريب هذا الخُلق سأضرب مثلاً حسي يوضح الأمور، فالذى يريد أن يكون مشـــهورا فى أى بند من بنود الحياة مثل الموســـيقى أو الغناء أو التمثيل أو الكرة ويصــبح عالمياً أى يخرج عن النطاق المحلى، وبمعنى أصــح يصــبح محترفاً وليس هاوياً، ماذا يفعل؟

الذى سيلعب على هواه وليس له شأن بقواعد اللعبة، هذا هل يستطيع أن يذهب إلى أى مكان ولو حتى نادى فى قرية؟!

لكن حتى يتصعد لابد أن يمشى على القواعد، وإذا أراد أن يكون رجل له مجال كبير، الشــرط هنا أن يمشــى على حســب ما يقول مدربه، فيتبع تعليمات المدرب ولا يخالفها، وهذه هى نفس القاعدة فى أى أمر من الأمور،

١٦ الخطيب عن ابن عمرو.

ســيمثل كما يريد هو أم ســيمثل كما يريد المخرج؟! وحتى لو كان ماهراً جداً هل ســيؤدى الدور حســب قدراته ومهاراته التى ســيخترعها أم حســب توجيهات المخرج؟! سيؤدى حسب توجيهات المخرج.

وهى نفس الحكاية، فالذى يريد أن ينال مقاماً من مقامات القرب من حضرة الله أول مبدأ يقطع هواه، وماذا ينفذ؟ ينفذ توجيهات المخرج الأعظم والمبدع الأكرم والمدرب الأمثل سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك قال للفريق كله وهم المسلمين:

{لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ}[١٧]

أنا أملك ألمعية وذكاء ولى توقعات واختراعات وملاحظات، هذا فيما لا نص فيه "لا اجتهاد مع النص" فأجتهد فيما لا نص فيه وأكمل نفســى بأدوات الإجتهاد، وأهم أدوات الإجتهاد هى التى وضحها رسول الله ﷺ عندما سأله أحدهم وقال: أستفت من يا رسول الله؟ قال ﷺ:

{اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ}[١٨]

لماذا؟ لأن هذا الرجل طهر قلبه، ولم يعد فى قلبه غير الإخلاص والصــدق واليقين، إذا كان القلب ملئ بالمشاغل والشواغل والمشاكل وأريد أن تسير الدنيا كلها كما أريد، ومعظم الناس الآن غير راضية عن الله، لماذا؟

---

١٧ الخطيب عن ابن عمرو.
١٨ رواه أحمد بإسناد حسن عن وابصة بن معبد.

لأنهم يريدون كذا وكذا والله لا يعطيهم، وهذه هى مشكلة العصر وهى عدم الرضا، حتى وصل الأمر فى الغلو فى الهوى أن الناس تريد أن تقترح على الله كيف تعيش، وإذا لم يعطه الله كما يريد يعترض على الله، وهذا من النفس لأن الهوى هو المحرك الأعظم للنفس، فطالما الهوى موجود فالنفس حية، وإذا كانت النفس حية فهى حية تلدغك.

إذاً ماذا أفعل؟

لابد ألا يكون لى هوى إلا هوى واحد: ... وهو ما يحبه الله وما يحبه رسول الله ﷺ، بالله عليكم لو وصلنا كلنا إلى هذه الحالة هل سيحصل خلاف بين اثنين منا فى أى قضية أو أى رأى؟ لا، لكن الخلاف بيننا يأتى من أين؟ من أن كل واحد يريد هواه، والمصيبة الكبرى أنه يريد أن ينتصر لهواه.

إذاً لابد كما وضح الله ﷻ وقال فى محكم كتابه:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات]

طالما أن الإنسان يحركه الهوى إذاً ليس له فى طب القلوب دوا، لأنه ليس له التزام ويريد أن يمشى على هواه، ومصيبة الإنسان فى الدنيا أنه يريد أن يمشى على هواه ويرى أن الشرع الشريف يكتفه مثل القوانين فيرى أنها تلزمه، كذلك قوانين الشرع تكتفه ويريد أن يتحلل منها بأى وضع من الأوضاع ويمشى على هواه، لا فنحن مطالبين بأن نمشى فى الدنيا كما يحب الله وكما يحب رسول الله ﷺ، ونعمل بقول الله:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [١٥٣ الأنعام]

علامة خروج الهوى من الإنسان أن الإنسان يحب الناصحين إذا نصحوه لوجه الله، ويفرح إذا وُجه وجهة سليمة ترضى مولاه ولا ينتصر لنفسه مع إخوانه الذين سبقوه فى طريق الله، لكن إذا كان هو مازال متحفز ويريد أن يدافع عن نفسه، ومن الجائز أن يكذب فى القضية، هذا نفسه تلعب به، والجهاد الأعظم الذى أمرنا به المصطفى ﷺ هو الذى قال فيه الله:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس]

ودساها أى أنه يمشى فى تيارها ويدافع عنها، مثلاً لماذا لم تصلى الفجر فى جماعة؟ تلتمس الأعذار، أهل الإيمان يقول أنا مقصر وإن كان لى عذر كذا أو كذا، ولكن ليس معنى هذا أن أترك صلاة الفجر، وهكذا فى كل أمر، فالذى دائماً متحفز لأن يدافع عن نفسه فإن نفسه تلعب به، ولكن ما علامة خروج الهوى؟

أن الإنسان دائماً يتهم نفسه بالتقصير، ومن منا غير مقصر فى طاعة الله؟! هل هناك أحد فى الدنيا كلها غير رسول الله وصل إلى الكمال فى طاعة الله؟ لا، إذاً كلنا مقصرين، ولذلك قالوا: (مقام العبد التقصير) وانظر إلى الصالحين من البدء إلى الآن تجدهم دائماً يتهموا النفس

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهما

بل إنهم كانوا يغضبون من الذين يراءونهم ويحاولون مدحهم، سيدنا الإمام على قال فى شأنه رسول الله:

{أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى}[١٩]

ومع ذلك كان يقول عندما كانوا يمدحونه: (اللهم اجعلنى خيراً مما يقولون اللهم إنى أعلم بنفسى منهم) حتى لا يغتر بالقول.

إذا كان الإنسان سيغتر بثناء المثنين ومدح المادحين فمازالت نفسه تضحك عليه، إذاً لا يغرنى مدح ولا ثناء، وإنما دائماً أتهم النفس إلى أن أصل إلى مقامات العارفين والصالحين التى نجدها فى كتاب الله وفيمن كانوا حول رسول الله وفيمن بعدهم من الصالحين إلى يومنا هذا.

حتى أن الصالحين الصادقين يفرون مما يفرح به المبتدئون.... يرون من الرؤيات!! يفرون من الكرامات!! ويفرون من التأييدات وينسبونها لله ﷻ، لماذا؟

حتى لا تفتتن النفس لأن النفس إذا فتنت وقفت، والوقوف حجاب عن الوصول إلى الله ﷻ، فلابد للإنسان ألا يكون له هوى إلا فيما يحبه الله ويحبه رسول الله ﷺ.

١٩ صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص.

وأسألكم بالله عليكم .. ماسبب معظم المشاكل الآن بيننا؟

سببها بلا شك:

الميل إلى ما يريده الهوى، يريد أن تكون هذه القضـــية فى مصـــلحة صـــاحبه، يريد هذا الأمر من أجل ابنه مع أنه يرى أنه على غير الحق، لكننا عندما ننظر فى الأمثلة المضـــيئة لأصـــحاب رســـول الله تجدهم كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم، لو كان حتى أبيه أو ابنه أو أخيه فإنه كان لا ينصره على الباطل، وإنما نصره له أن يبين له أنه على الخطأ.

ســـيدنا أبوعبيدة بن الجراح ﵁ قتل أباه فى غزوة بدر، فقيل له: لِمَ قتلت أباك؟ قال: خفت أن يقتله أحد من أصـحاب رسـول الله فيتغير قلبى من ناحيته من أجل رجل مشرك!

وسيدنا عبدالله بن أُبى وكان صـالحاً لما سمع أن أباه سيقتل، فذهب إلى رسـول الله وقال له: يا رســول الله ائذن لى أن أقتل أبى فإنى لا أطيق ان أرى أمامى قاتل أبى ولا أحب أن أقتل مسلماً بكافر.

سيدنا عمر بعد غزوة بدر وقد أسروا سبعين من الكافرين، فقال: يا رسول الله أعطنى فلان قريبـــــى وإلى أبى بكر فلان قريبه وهكذا نقطع أعناقهم حتى يعلم الله ﷻ أن قلوبنا ليس فيها هوادة للحق!!

انظر إلى التربية النبوية النورانية، أصبح الرجل منهم يقول الحق ولو على نفسه ويقول الحق ولو كان مراً ويعترف بخطأه إذا أخطأ.

فإذا رأيت نفسك تخشى أن تعترف بخطأك فاعلم أن هذا من المكر الخفى الذى تستدرجه لك نفسك، لأن الرجل لا مانع عنده من الإعتراف بأنه أخطأ، انظر إلى الرجل وهو على المنبر وأمام الجميع قال: أخطأ عمر وأصابت امرأة، كان الرجل منهم إذا أفتى وظهر له أن فتواه ليست هى الأصح يدعو الناس ويصعد المنبر ويقول:

قد أفتيتكم بكذا وظهر لى أن الأصح كذا وكذا فارجعوا عن رأيى الأول وخذوا برأيى الذى قلته اليوم، من الذى يقدر على هذا الأمر اليوم؟! هؤلاء هم الرجال الذين رباهم الإسلام:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [٢٣ الأحزاب].

إذاً لابد للإنسان أن يتبرأ من الهوى حتى تستقيم النفس على طاعة الله، لأن الجندى الأول الذى يعين النفس ويقويها عليك هو الهوى.

فانزع الهوى، فلا أحساب ولا أنساب ولا إبن ولا بنت ولا زوجة فى الحق، الحق فوق الجميع.....

فإذا جاملت أحداً إذاً أنا مازلت أحتاج إلى تهذيب كبير فى طريق العلى الكبير ﷻ، لأن طريق الله [٢٢ المجادلة]:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾

من الذى يستطيع أن يزن نفسه بهذه الآية؟ فإن هذه الآية هى ميزانك الذى تزن به أحوالك حتى تعرف أن هواك انتهى وأصبح كل ما فيك على قدم الحبيب المصطفى ﷺ.

ثالثاً: إعجاب المرء بنفسه

والطامة الكبرى "وإعجاب المرء بنفسه"!!!

داء العجب يا إخوانى داء يجعل الإنسان دوماً فى خسران!

وإعجاب المرء بنفسه أى سروره من نفسه ورضاه عنها!

وكون الإنسان مسروراً من نفسه فإنه سيقف!

هل رأيتم أحداً من طلاب الشـــهرة كما قلنا يقف عند مرحلة من المراحل أم أنه يريد أن يُخرج كل يوم جديد ؟ يريد أن يُخرج كل يوم جديد، لكن متى يقف عند المرحلة التى هو فيها؟

إذا أعجب بنفسه، والإعجاب نعى عليه الله حتى على أصحاب رسول الله فقال لهم:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [٢٥ التوبة].

آفة الآفات للسالكين والواصلين الإعجاب بالنفس، فيرى نفسه ولى من الأولياء أو هو رجل عظيم ولا يحتاج إلى مزيد، فلا يحتاج إلى اطلاع فى كتب ولا يحتاج إلى أعمال ولا أنفاس ولا يحتاج إلى شئ أبداً، وهذا هو الوقوف، والوقوف معناه التخلف، أى دولة فى العالم الآن لو وقفت على ماهى عليه من مدنية لمدة شــــهر واحد، أين ستكون؟

ستصبح فى ذيل القائمة، لأن العالم دائماً فى مزيد، ما هو سبب بيع مصـانعنا؟ لأنه لم يتم تحديثها منذ أيام الثورة، وهكذا نفس الحكاية.

أصحاب العارفين اسمهم طلاب المزيد، أين ذلك؟ فى قول الله:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [٣٥ ق]

ما هو هذا المزيد؟ ما لا يخطر على البال ولا يحيط به الخيال ولا يعلمه الإنسان وهو فى هذه الحياة ، ولكنه ســـيرى هناك ما لا عين رأت ولا إذاً ســـمعت ولا خطر على قلب بشر.

فكون الإنسان يعجب بنفسه يريد إذا جلس مع جماعة أن يعظموه ويوقروه، وإذا لم يعظمه أحدهم يأخذ موقف منه ولو داخلياً فى نفســـه، لماذا ؟ لأنه لم يعظمه، وهذه عملية نفســية فهو يريد من الكل أن يعظمه ويبجله لأنه يرى نفســه، لكن الصـــالحين يرون أنفسهم لا شئ، يقول الإمام أبوالعزائم ﷺ:

علـمـت أنـى كـنـت لا شــــئ فصـــرت لا شـــئ فى نفســـى وفى كلى
بــه تنزه صـــرت الآن موجوداً بــه وجـودى وامــدادى بــه حــولــى
ومـن أنــا؟ عـدم الله جـمـلـنــى فصـــرت صـــورتــه العليـا بلا نيـل

يرون أنفســهم لو تخلى عنهم جمال الجميل لا يسـاوون قليلاً ولا كثيراً، فيمشـى بما فيه من جمال الله، بم أنت مكرم؟ بما فيك من جميل إبداع صـــنع الله، ماذا لك فى كل هذا؟! إنه جمال الله وكمال الله وصــنع الله ولطف الله، هل ســتتباهى به على خلق الله؟! لكن بم تتباهى؟ بخُلقك وبأوصـافك المعنوية بصـدقك وأمانتك ومروءتك، فيحق لك أن تتباهى بها لأنها من صـنعك، لكن ستتباهى بشـكلك أو جسـمك أو بعائلتك، إنها ليســت من صـــنعك، ســـتتباهى بالمال فإنك ســـتتركه أو يتركك، لكن تتباهى بكرم الأخلاق، التى هى أخلاق القرآن وأخلاق النبى العدنان ﷺ، والتى مدح الله بها الأنبياء والمرسلين:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [١١٤ التوبة]

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ [٥٤ مريم]

قبل أن يمدحه بالرســالة والنبوة مدحه بصـــدق الوعد، لم يقل يا أيها الذين آمنو اتقوا الله وكونوا مع الصالحين ولكن قال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [١١٩ التوبة]

أتى بالوصف الذى يستحقون به الصلاح وهو الصدق، انظر إلى ثناء الله فى القرآن حتى الثناء العظيم على خير ولد عدنان:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٤ القلم].

إذا أعجب الإنسان بنفسه، لوجلس فى مثل هذه المجالس إلى يوم القيامة لن تؤثر فيه، لأنه لا يأخذ الكلام على نفسه بل يعتقد أنه لغيره، فلا يقرأ فى الكتب لأنه يعتقد أنه لا يحتاج إلى كتب ولا يحتاج إلى قيام ليل ولا تلاوة قرآن، و هذا يقول له ربه:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾

أى لماذا اطمئننت إلى الحالة التى أنت فيها؟!

﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ .. الذى يربِّيكِ

﴿ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

[الفجر]

ارجع إلى المربى مرة أخرى، ولا ترضـــى عن نفســك طرفة عين، فإنك لو رضيت عن نفسك فقد بعدت عن ربك ﷻ.

فآفة الإنســان الرضـا عن نفســه فى كل وقت وحين، وأنتم ترون حتى العالم المتحضـــر الذين يطبقون مقاييس الجودة على كل صـــغيرة وكبيرة من مزروعاتهم ومصنوعاتهم، ولكنهم غير راضـين عنها وبالتالى تجد كل يوم مخترعات وإضـافات جديدة، لكن نحن لا اختراعات ولا اكتشـــافات ونمد أيدينا لكل الجهات ومع ذلك نحن راضـون عن أنفسنا. .... ما الذى نحن فيه حتى نرضـى عنه؟! فقر المعلومات أم فقر الصـــناعات أم فقر الزراعات أم الأحوال التى لا تســـر فى هذه المجتمعات؟! فهى مصيبة المجتمع كله.

فالإنســان الذى يريد الكمال لا يرضــى عن نفســه بحال، ولكن دائماً يتهم نفســه ويحاول دائماً أن يكملها، والإمام الأعظم الذى وصـــفه الله بالكمال قال له الله منبهاً لنا فى حضرته:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [١١٤ طه]

أى اطلب المزيد، وطالب المزيد لا ينتهى أبداً عند حد ولا قدر ولا مقدار لأن المزيد من الله ﷻ ليس له حد ولا قدر ولا مقدار لأن الله ﷻ لا منتهى لكمالاته ولا غاية لكمالاته، بل الله ﷻ جعل النفوس الطيبة الطاهرة تطلب دوماً مزيد الكمال من الواحد المتعال ﷻ.

نســـأل الله ﷻ أن يجملنا بجماله وأن يكملنا بكمال الكمل من رجاله وأن يرزقنا القبول والإقبال والرضـــا عن الله فى كل حال وأن يجعلنا نجاهد أنفســـنا حتى نكون علماء حكماء فقهاء

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نسمات الإنابة

منهج الإمام أبى العزائم ﷺ فى تزكية النفس [٢٠]

منهجنا

ضرورة تزكية النفوس

الجهـــــاد لنيل المراد

وسائل تزكية النفس: أولاً: العلم بأيام الله

ثانياً: العلم بأحكام الله: ثالثاً: حكمة الأحكام

رابعاً: تلويحات الأسماء والصفات

خامساً: التشبه برسول الله ﷺ

المنن الإلهية

[٢٠] المعادى – الخميس، ١٢ من جماد الأول ١٤٣٠ هـ، ٧ من مايو ٢٠٠٩م

نسمات الإنابة

منهج الإمام أبى العزائم ﷺ فى تزكية النفس

منهجنا

درســــنا اليوم إن شـــــاء الله عن منهج الإمام أبى العزائم ﷺ فى تزكية النفس، وعندما أقول منهج الإمام أبى العزائم ﷺ أقول لإخوانى العلماء الأجلاء الذين ينقبون فى بطون الكتب والمراجع أننا قد علمنا علم اليقين أن الإمام أبا العزائم جمع فأوعى، جمع كل ما قاله الصالحون السابقون، وهذَّب وعدَّل وأخرج دواءاً عصرياً يصلح لهذا العصر ولا يصلح لهذا العصر سواه، ولا ينبغى لطبيب معاصر أن يأتى بأدوية من كتاب القانون فى الطب لإبن ســـينا مع أنه كان أعظم كتب الطب فى عصــــره وإلى خمســـة عصـــور بعده فى أوربا، فقد كان هو الكتاب الفريد فى الطب، فهل يجوز أن نأتى بدواء من كتاب القانون فى الطب لإبن سينا ونعطيه لمرضـى العصـر بدون أن نهذبه ونشذبه ونجعله صالحاً للعصر؟ بالطبع لا يجوز.

فالإمام أبوالعزائم ﷺ نقب ببصره فى كتب الصالحين السابقين وببصيرته فى كلام رب العالمين وبسريرته فى أحوال سيد الأولين والآخرين، وجمع لنا الشفاء النافع للنفوس فى هذا العصر لنا أجمعين، ولذا فهو الدواء الجامع المانع، فمن أتانا بشئ عن غيره رفضناه، ليس اعتراضاً عليه ولكن لأنه غير المناسب لنا فى عصرنا:

من غيرنا فى عصرنا لا إلا لنا وبنا بسر الوالى

والرجل من فرط رحمته وحرصه وشفقته لو وجد أية نصيحة صحيحة أو دواء شافى حتى فى كتب أهل الكتاب أو السابقين من الأنبياء والمرسلين كان يأتى به لأنه حريص على شفائنا وتهذيب نفوسنا وصقل قلوبنا وبلوغنا لمرادنا.

وقد تعودنا، أو هكذا نظام العصر، فنظام العصر عبارة عن مدارس، حتى فى الجامعات، فكل قسم من أقسام الدراسات العليا فى الجامعات يعتبر مدرسة له أهدافه وله نظمه ووسائله، والمعيد الذى ينتسب لأى قسم لابد وأن يمشى على هداه، فلا يجوز لمريد أن ينتسب لهذا القسم ثم يأتى بمدرسة أخرى ومنهج آخر يدخله فى هذا القسم لأن الجميع هنا يعترض عليه، وعندما يتحدث واحد منا فى أى زمان أو مكان عليه أن يتحدث باسم المدرسة العزمية، وينقل فى أقواله ويمثل فى أحواله وأفعاله مسلك المدرسة العزمية.

أما إذا أراد أن ينقب فى كتب السـابقين وتحدثه نفسـه بأن يأتى بشـئ جديد للمريدين لم يسـمعوه من الأسـاتذة أو المشـايخ الآخرين فقد أخطأ، ولكى لا يتوه الإنسان، عليه أن يختصر الطريق، فالإنسان الذى يصحب طبيب اختصاص عالمى فى أى مجال، لِمَ يصـحبه؟ هل ليتعلم منه طريقة؟ أم ليأتى بطريقة أخرى تنافس طريقته؟ بالطبع ليتعلم منه طريقته، بل إن الذى يذهب إليه بعد ذلك يذهب إليه لأنه يمشى على منهج الأستاذ فلان، وتحدث كل هذه الأمور بسبب النفوس.

ضرورة تزكية النفوس

ولذلك لابد من تزكية النفوس وتهذيبها، ولا يحدث التهذيب والتزكية إلا للنفوس الراقية السـامية العالية، ومع أنها كذلك إلا أنه لابد لها من التزكية، ونأتى لها بمثال، فالجواهر والمعادن النفيسة حتى تظهر بصورة جميلة وطيبة، من أين نأتى بها أولاً؟ من الأرض ثم بعدها أدخلها النار لكى أخلصـها من الشـوائب، بعد ذلك تصـبح جواهر راقية أو معادن نفيسـة غالية، مثلاً الذهب قبل تخليصـه من الشـوائب نسـميه (تبر) أى الذهب المخلوط بعناصـر الأرض، هذا التبر هل تحلى به أنثى؟ أو هل يوضع فى تاج ملك؟ أو هل نصنع منه نقود؟ لا، إذاً متى نتجمل به؟

بعد أن نأخذ هذا التبر وندخله الفرن الحرارى العالى لكى نخلصه من الشوائب، ويخرج بعد ذلك الذهب الذى يسمونه (الذهب الإبريز) أى الخالص، وكلما زادت النقاوة كلما زادت الغلاوة، فهل الذهب عيار أربعة وعشرين مثل عيار ثمانى عشر؟ لا، فكلٌ على حسب النقاوة، وبعد أن نخلصه من الشوائب نُفصصه ونُصنفه ونُصنعه ونجمل به ونحلى به.

وهكذا نفوس الصالحين ونفوس العارفين ونفوس المتقين – وهى نفوسكم إن شاء الله أجمعين – وهى نفوس عالية وغالية مثل الذهب بل أغلى من الذهب لكنها موضوعة فى تراب الجسم، ولذلك لابد أن أدخلها فى فرن الجهاد – جهاد النفس – لكى أصفى النفس من دواعى الهوى وميول التراب وميول العناصر التى تَشَكل الإنسان منها وتَكَون وأُنشئ منها، وذلك كله بجهاد النفس.

لكن لو كانت النفس من معدن خسيس فمهما أدخلناها النار والجهاد لا ترتقى، فالرصاص مثلاً مهما نصفيه ونرقيه لا يأتى بجديد، فسيظل رصاصاً، كذلك النفوس الوضيعة والدنيئة.

وقد ضـربوا المثل بإبليس لعنة الله عليه فقد كان طاووس الملائكة بالمجاهدات والعبادات، فلم يترك موضـع شـبر فى السـموات السـبع إلا وسـجد فيه لله سـجدة، وقد صـفى نفسـه بالعبادات والمجاهدات إلى أن أصـبح طاووس الملائكة، لكن فى النهاية غلبته طبيعته وفطرته الإبليسـية فاسـتحق الطرد من هذه الحضـرات النورانية حضـرة الملائكة.

نأخذ مثال آخر من البشـر: موسـى الكليم جوهر نفسـه نقى وصـفى، تربى فى بيت فرعون، هل أثرت فيه هذه التربية وأخرجته من نقاوته وصـفاءه؟ أبداً وذلك لأنه معدن أصيل يقول فيه الحبيب:

{النّاسُ مَعادِنُ فَخِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الإسْلامِ إِذَا فَقَهُوا} [٢١]

وموسـى السـامرى الذى رباه جبريل وكان يأتى له بغزالة ترضـعه، فهل أخرجته هذه التربية من وضاعته وخسته؟ لا

فموسـى الذى ربَّاه فرعون   وموسـى الذى رباه جبريل

إذاً فإن الموضـوع كله يرجع للأصـل، فيجب علينا أن نحمد الله أنه خلق نفوسنا من طينة أصفياءه ومن نور سيد رسله وأنبياءه.

---

٢١ رواه الإمام أحمد عن جابر.

الجهاد لنيل المراد

ولكن لابد من الجهاد لكى تصفو النفس وترقى وتنال المراد، ويجب أن أضع هذا المراد أمام عينى لأنه الباعث الذى سيعيننى على الجهاد، هذا المراد قد يكون أن أحظى بفضل الله العظيم وقد يكون مرادى أن أحظى بمقام الخلافة والنيابة عن الله وأدخل فى قول الله:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٣٠ البقرة]

وقد يكون مرادى أن أتحقق بوراثة الكتاب:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾ [٣٢ فاطر]

وقد يكون مرادى أن أفنى فى ذات الله ولا يكون لى همة فى سواه طرفة عين ولا أقل، المهم أن يكون لى مراد لأنه هو الذى يعين العبد على الجهاد.

بل مرادى منك أنى عن مرادك لا أحيد

أوقف الله بين يديه أبا يزيد البسطامى ﷺ - وهو الذى يحكى حيث يقول – قال لى: يا أبا يزيد ماذا تريد؟ فقلت: أريد ألا يكون لى مراد مع مرادك، فقال: أنت عبدى حقاً ووليّ صدقاً.

إذاً فجهاد النفس لتصـفيتها من شـوائبها ومن دواعى عناصـرها لبلوغ المراد، هذا الجهاد اعتصــر الإمام أبوالعزائم ﷺ كتاب الله وســنة حبيبه ومصــطفاه ومناهج الأصفياء والعرفاء والحكماء السابقين وجاء لنا بمنهج عالٍ وراقٍ وغالٍ

أوله علم وآخره معرفة، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه.

وسائل تزكية النفس

ووسائل الجهاد والتزكية والترقية والتصفية والتخلية والتجهز للتحلية والتجلية عند الإمام أبى العزائم ﷺ أولها العلم بالله وبأيام الله.

ولذلك كان عندما يدخل الرجل فى روضــة أبى العزائم يقولون له تعالى لنعلمك أولاً من هو الله؟ ... وما هى أيام الله التى قال فيها الله لنبيه موسى الكليم:

﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [٥ ابراهيم]

والعلم بالله ليس علم كتب الفلســفة والدلائل والمنطق لكنه العلم الذى يُكســب القلب خشــية الله والخوف من الله ومراقبة الله وهذا العلم لا يؤخذ إلا من أهل الخشــية وفيه يقول الإمام أبوالعزائم ﷺ:

العلم يجعلنى أخشى من الرب أراقب الله بالأعضاء والقلب
إن لم أكن أخشى من ربى فمن جهلى وإن علمت علوم الكشف والغيب
وإن تحصلت من علم ومن فقه مثل الجبال الرواسى لم يزل حجبى
العلم معراج أهل الحب والحسنى مهواة أهل الجفا والبعد والريب

أولاً: العلم بأيام الله

أول خطوة هى العلم بالله والعلم بأيام الله، وأيام الله ليست السبت والأحد والإثنين من أيام الأسبوع لأنها أيامنا نحن، لكن أيام الله علم واسع نذكر موجزه أما تفصيله فيحتاج إلى وقت آخر إن شاء الله.

فأيام الله هى الأيام التى يتطور فيها العبد منذ أن خلقه مولاه إلى أن تنتهى مهمته ويرجع إلى مولاه: ... منها يوم الميثاق، ويوم ألست بربكم، ويوم نشأته فى بطن أمه، ويوم حياته الدنيا وذلك لأن الدنيا كلها عبارة عن يوم واحد، ويوم حلوله فى عالم البرزخ، ويوم عرضه فى يوم القيامة، ويوم الخلود فى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفك عذابها.

هذه الأيام يجب أن يعرفها الإنسان لكى تزكو نفسه ويصفو طبعه ويميل بالكلية إلى ربه ﷻ، وقد ذكر لنا مولانا الإمام محمد على سلامة ﷺ موجز لها فى كتاب اسمه (أيام الله).

ثانياً: العلم بأحكام الله

بعد العلم بالله والعلم بأيام الله يبدأ الإنسان فى تعلم أحكام شرع الله التى لابد له منها أو التى لا غنى له فى العمل عنها، لا يتعلم ليقول أو ليناظر أو ليجادل وإنما يتعلم ما يحتاجه ليعمل ويفوز بمحبة الله ﷻ:

حصِّل الأحكام بالقدر الذى يقتضيه الوقت لا قال يقول
حصِّل العلم بعزم صادق لا تكن فى العلم كسلاناً ملول

وهذه هى المرحلة الثانية فى وسائل تزكية النفس.

ثالثاً: حكمة الأحكام

وبعد أن يتعلم الإنسان الأحكام:

فعليه أن يبدأ فى العمل بها فيفقهه الله ﷻ حكمة الأحكام، وهو أول علم يتنزل له من الحاكم الحكيم ﷻ لكى يُطهر النفس ويزكيها، وأقول ذلك وأنا أعلم أن معظم الحاضرين يظنون أن تزكية النفس بقيام الليل وصيام النهار والأذكار والأوراد، ومع أن هذه الأمور لابد منها لكنها ليست الوسيلة الوحيدة لتزكية النفس، وما هى إلا نوافل يتقرب بها الإنسان إلى ربه إذا تأسى فيها وأصلح فيها النية بحبيب الله ومصطفاه - وأنا هنا أبين منهجنا الذى سلكناه.

وبعد أن يلهمه الله بحكمة الأحكام يعرف الحكمة من جعل الصـــلوات خمس والحكمة من تســـمية هذه بالفجر وهذه بالظهر وهذه بالعصـــر وهذه بالمغرب وهذه بالعشاء، ولماذا كانت هذه أربع ركعات وهذه ركعتان وهذه ثلاثة؟ والحكمة من صيام رمضـــان والحكمة من مناســك الحج، ولِمَ كان الطواف؟ ولِمَ كان ســبعاً؟ ولِمَ كان السعى؟ ولِمَ كان سبعاً؟ ولِمَ كان الرمى؟ ولِمَ كان الوقوف بعرفات؟

وهى ليســت حكمة واحدة ولكن له فى كل مقام من حكم الأحكام ما لا تســتطيع أن تخطه الأقلام يلهمه بها الحكيم العلام ﷻ من باب قوله ﷻ:

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [٢٦٩ البقرة]

وإن كانت علوم لا تســـتطيع أن نخطها بقلم لأنها علوم لا تتحملها العقول ولا تســـتطيع أن تحيزها النقول وإنما تتحملها قلوب الفحول الذين أخلصـــوا قلباً وقالباً لله ولحضرة الرسول:

علم غيب عن شـــهود ... لا بعلمى أو بعملى
بـل بفضـــل الله ربى ... وبطـه خير رســـل
وأنـا عـبـد ظـلـوم ... أعلمونى بعد جهلى
كشفوا لى الحجب حتى ... أشـــهدونى نور أصـــلى

وعلم حكمة الأحكام يأخذ النفس بالكلية إلى حضرة الملك العلام.

وهذا العلم لا يُعلمه أحد وإنما يُلهم به العبد.

رابعاً: تلويحات الأسماء والصفات

بعد علم حكمة الأحكام تلوح له أسماء وصفات الحق ظاهرة فى الأكوان فيرى أن الأكوان وما فى الأكوان مصير أو منفعل بسر تصريف أسماء الحى القيوم ﷻ، وتلوح لثنا قلبه أنوار هذه الصفات فيعشق هذه الأسماء وذلك لأنه يرى أن الحق يعامل الخلق معاملة عالية بهذه الأسماء الراقية.

فيرى من يظاهرون الحق ﷻ والخلق بالعداوة ويجاهرون بالمعاصـــى ويعلنون الحرب على الله وعلى رســوله، ولكن الله ﷻ لا يعاملهم بمثل معاملتهم بل يرزقهم ويتولاهم بولايته ويفتح لهم أبوب التوبة وينادى عليهم طالباً أن يرجعوا إليه ويعفو عنهم ويصفح، فيعلم بذلك أن المعاملة التى تليق بالخلق ينبغى أن تكون على أوصاف الحق فيتجمل بأوصـــاف الحق فى معاملة الخلق ولذلك يقول الإمام أبوالعزائم ﷺ فى السالكين:

(آل العزائم أطباء رحماء حكماء لهم حال مع الله يجذب الكافر والنافر فما بالك بالمؤمن المطيع؟!)

فما بالكم بالمعاملة التى نراها من كثير من إخواننا الذين عندما أراهم أتذكر قيادات الجيش فى مراكز التدريب وهم يدربون الجنود إذ يصدرون فرمانات عسكرية وشدة وزجر للمبتدئين من المريدين، فهل هذه تربية للمريدين أم تنفير لهم؟ .... بالطبع تنفير لأن من يفعل ذلك لم يرى بثنا قلبه ولا بنور سره أسرار الله فى أسماء الله الذى يعامل بها الله خلق الله،

ويطلب من خاصـــة المقربين ومن عباده المحبوبين أن يكونوا على هذه الهيئة فى معاملة الآخرين، ويأمر ســـيد الأولين والآخرين أن ينادى فى كل وقت وحين أن أعلموا يا عباد الله أنه ســـبحانه وتعالى يحبُّ من خلقه من كان على خلقه! ... ويأمره أيضاً أن يقول:

{ إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ } هل قال قوَّام الليل!!؟ ... أو صـــوَّام النهار؟ أو التالين للقرآن؟ ...

لم يقل \لك! .... ولكنه قال:

{أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً المُوطَّئُونَ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ}[٢٢]

وهذه هى صفة المؤمن، من المؤمن يا رسول الله؟ قال:

{ المُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ }[٢٣]

فيتجمَّل بأسماء الله وصفات الله فى معاملة خلق الله.

٢٢ رواه الترمذي والخرائطي في مكارم الأخلاق عن جابر.
٢٣ إحياء علوم الدين مسند الشهاء عن جابر.

خامساً: التشبه برسول الله ﷺ

ثم بعد ذلك ينظر فيرى أن ما يحبه الله من عقيدة أو عبادات أو نوافل وقربات أو أخلاق ومعاملات هو ما كان عليه السيد السند العظيم الذى وصفه ربه بأنه رءوف رحيم، فيعشـق هذا الأسـتاذ الأعظم ويحاول أن يتشـبه به فى كل أحواله فى عباداته وفى أخلاقه وفى معاملاته وفى كلامه وفى نومه وفى طعامه وفى شـرابه وفى كل أحواله وذلك لينال القرب من ربه لأنه علم علم اليقين أن أحوال هذا السيد الأعظم هى التى يحبها الله، ومن أراد أن يحبه الله لابد أن يمشى على هداه لأن الله قال لنا:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]

هل قال لقد كان لكم فى صلاة رسول الله؟! أو فى هيئة رسول الله الظاهرة مثل اللحية والعدبة والعمامة والشكل؟!

لا، ولكن فى رسـول الله نفسـه، فى أخلاقه وفى معاملاته وفى عباداته وفى توجهاته وفى نواياه وفى كل أحواله الظاهرة والباطنة نحو مولاه، فإن تشـبه المؤمن بكل ذلك يحبه الله جل فى علاه.

المنن الإلهية

فإذا تشبه برسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً منَّ الله عليه فزكى نفسه ودخل فى قول الله:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ [المؤمنون]

أى أصبح من المفلحين، لماذا؟ قال تعالى فى سورة الأعلى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ ﴾

بعد ذلك يصبح وهو فى الكون موضع نظر الله ﷻ ....

وموضع نظر الملائكة فى الملأ الأعلى !!!!

فينظر إليه الملائكة فيجدونه مثالاً مجملاً !!!

وينظر الله ﷻ إليه فيرفع عن أهل الأرض العذاب بسببه!!!

وإذا أحب هذا الرجل أحداً آخر ودخل فى قلبه ... ونظر الله إلى قلبه فوجده فيه أحبَّه وإذا أحبَّه هداه ووفقه فى كل أحواله لما يحبه ويرضاه... ويصير هذا الرجل هو الإمام الذى يدعو الخلق بحاله قبل قاله إلى الله ﷻ.

هذا باختصـــار منهج الإمام أبوالعزائم ﷺ فى جهاد النفس وتزكيتها وتصـــفيتها وتطهيرها حتى تصل إلى مقام اليقين وتكون من الذين يقول فيهم رب العالمين ﷻ:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [١٠٨ هود]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نسمات الجهاد

جهاد الجوارح [٤٢]

العزيمة والجهاد

حفظ اللسان والبطن والفرج

من ثمرات جهاد النفس

[٤٢] المعادى – الخميس، ١٢ من جماد الأول ١٤٣٠ هـ، ٧ من مايو ٢٠٠٩م

نسمات الجهاد

جهاد الجوارح

ما تكلمنا فيه كان المنهج العزمى لجهاد النفس الباطنى، لكن هذا الجهاد يستلزم معه جهاد الجوارح، لأن الجوارح لا شأن لها بالنفس لكنها الجنود المنفذة والتى تعمل ما تؤمر به.

فاليد إذا أمرت بالإعطاء أعطت وإذا أمرت بالقتل قتلت وإذا أمرت بالبر برت وإذا أمرت بالسرقة سرقت، إذاً فهى من الجنود المنفذة، كذلك بالنسبة للسان إذا أمرته بالتسبيح أو بتلاوة القرآن أو بالصلاة على النبى العدنان أنصت ونفذ وإذا أمرته بالقذف والسب والشتم واللعن كذلك ينفذ، ولذلك جعلهم الله شهوداً:

﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [٢١ فصلت]

إذاً فهذه الجوارح لابد لها من جهاد، وجهادها فيه إعلاء لشأن النفس وترقية لدورها ومهامها ووظيفتها، والجوارح المؤثرة والتى يجب على الإنسان أن ينتبه إليها إذا كان يريد أن ينتهى من جهاد النفس بسرعة هى اللسان والبطن والفرج،

فهى الجوارح الأساسية، ومعظم آفات الإنسان سببها اللسان مثل الكذب والغيبة والنميمة وقول الزور والسب والشتم واللعن والسحر، كل ذلك سببه اللسان ولذلك قال ﷺ:

{وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ}[٢٥]

العزيمة والجهاد

وقد كان عندى فى الجميزة فى مجلس الإخوان أخ جديد سألنى عن منهج سديد يمشـــى عليه، فقلت له أن جميع إخواننا معهم المناهج لكننا مثل الطبيب الذى يكتب الروشتة فيأخذها المريض ويمزقها بعد خروجه ولا ينفذ منها شئ، فماذا يفعل الطبيب بعد ذلك؟!

كل ما عليه أن يكتب الروشتة، ولكى ينفذ المريض ما فى هذه الروشتة عليه أن يتحلى بالعزيمة والإرادة لكى يتم الشـــفاء – مثلاً عندما يأمرك الطبيب ألا تأكل اللحم الســـمين هل لأنه يكرهك أو لأنه لا يحب لك الخير؟ أبداً ولكنه يعلم أن الســـمين ســيضــرك، وهو بذلك يمنعك من الذى يضــرك، وإذا كان لديك العزيمة والإرادة يتم الشفاء، أما إذا افتقدت هذه العزيمة وخارت نفسك وأكلت السمين فستظل مريضـاً بل سيزداد المرض.

٢٥ رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل.

إذاً لابد وأن يكون لدى الإنسان العزيمة والإرادة، وبدون هذه العزيمة والإرادة لا أستطيع أنا أو غيرى مساعدتك، ولذلك عندما قال الرجل لرسول الله: يا رسول الله ادعو الله أن يجعلنى معك فى الجنة – ومع أن الرسول جعل الله بيده كل شئ إلا أنه قال للرجل:

{فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ} [٢٦]

أى إذا كنت تريد الوصول لهذه المنزلة عليك أن تجتهد وتكثر من السجود ومن النوافل، وهذا كما قلت رسول الله الذى قال له حضرة الله:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [الضحى].

إذاً يجب أن يكون هناك دور للإنسان، إما إذا بلغت هذه المنزلة العلية بدعوة من الرجل الصالح فما ذنب الآخر الذى ظُلم ولم يأخذ مثل هذه الدعوة؟! لذلك يجب أن تُحصل المجموع الذى يؤهلك لذلك، صحيح أننا زكيناك لكنك يجب أن تُحصل المجموع الجهادى الذى يدخلك ويوصلك.

٢٦ صحيح مسلم عن كعب الأسلمى.

حفظ اللسان والبطن والفرج

فقلت لهذا الأخ السائل كل ما أريده من إخوانى أنه لو حفظ الواحد منهم اللسان والبطن والفرج وحافظ بعد ذلك على الفرائض فإن ذلك يكفيه، فلو أمســـك الإنســـان لسانه فهو مَلَكٌ وأعلى لأنه بذلك لا يتحرر له محاضر ولن يكون عليه ديون، فإذا كان مرتبى مائة جنيه فى الشهر وليس علىَّ ديون بذلك أعيش فى سلام، أما إذا كان مرتبى مليون جنيه فى الشهر وأصرف اثنين فما الفائدة؟!

فإذا كنت أصـــلى كل يوم ألف ركعة !! وأقرأ عشـــر أجزاء من القرآن !! ومع ذلك تكلمت بكلمة واحدة فى حق واحد من بنى الإنســـان فإنى أقف بهذه الكلمة فى موقف ذل!

وإذا قلت لهذا الرجل هيا لنتصالح ونحرر محضر صلح يقول لا ادفع أولاً، وإذا دفعت لهذا وذاك ينفد الرصـــيد وعندما أقول نفد الرصـــيد يقول خذ من الأحكام التى علىَّ، بذلك ضيعت نفسى والذى ضيعنى هو اللسان!

ودروس تزكية النفوس الأولى التى كان يدرسها رسول الله لأصحابه كانت من شقين جانب نظرى مثل الذى نحن فيه الآن وجانب آخر عملى يقول فيه سيدنا أبوبكر:

{كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام}

كانوا يجلسـون مع سـيدنا رسـول الله مع الخلق ولا يتكلم أحد منهم إلا مع الحق ﷺ، فهل نستطيع فعل ذلك يا أحباب؟

إذا اسـتطعنا ذلك فقد وصـلنا، وقد كنا نزور الصـالحين، وأذكر أنى كنت أجلس مع الرجل الصــالح ســاعة أو أكثر فلا يتكلم ولا أتكلم لكنه الحال هو الذى كان يتكلم، وكنت أشــعر بعدها أن هناك شــحن داخلى باطنى، لكن الآن يأتى الأخ وكل ما يريده هو اللسان وبذلك تقفل فتحة القلب والجنان، ولقد قالوا:

(بالحال تزكية النفوس لا بالفلوس ولا بالدروس)

لكنه لا يريد إلا الثرثرة، وقد قال الحبيب فى ذلك:

{وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إلى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ} [٢٧]

والمتفيهقون – أى الذين يدَّعون العلم والمعرفة – "

أما المؤمن الحقيقى فحليته الصــمت لا يتكلم إلا عن ضـــرورة، وعنوانه الذى يضعه دائماً على جبهته وعلى لسانه:

{رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَكَلَّمَ فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ} [٢٨]

٢٧ سنن الترمذي عن جابر.
٢٨ مسند الشهاب عن الحسن.

وكان سيدنا أبوبكر يضع حصاة تحت لسانه كى لا يتكلم كثيراً لأنه يريد أن يكون طالباً مبرزاً فى فصل الصمت فى مدرسة سيدنا رسول الله ﷺ، فهل لو قررنا الآن الصمت لمدة خمس دقائق، هل يتحمل أحد؟ لن يتحمل أحد بل سيستأذن الجميع فى الإنصراف مع أن الإمام أبا العزائم قال لنا:

فى كلامى يدار راح طهور   يسكر الروح من قبيل التجلى
فى سكوتى يدار راح التجلى   سدرة ووجهت من المتجلى

هذه يا إخوانى هى أحوال العارفين، فمن يريد التجلى عليه بالصمت، والصمت ليس صمت اللسان وحسب ولكن اللسان والقلب والفكر والجوارح، تجلس كل هذه الجوارح فى حضرة العارف، قال الله تعالى فى محكم الكتاب فى سورة [طه]:

﴿ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾

والهمس هنا هو لغة القلوب وذلك لكى يفاض على العبد:

والصمت معراج وجوعك طهرة   والصمت رفرف حضرة

من الذى يستطيع ضبط اللسان؟ من يستطع ذلك أضمن له مكانة فى أعلى منازل الرضوان،

ومن يقدر على ذلك لا يحدث بينه وبين أحد من الخلق مشاكل لأن كل المشاكل تأتى من اللسان، فبمجرد كلمة تقوم الحرب بين دولتين أو عائلتين أو بين شخصين، وبكلمة واحدة أيضاً تتحول المرأة من حلال إلى محرمة على الإنسان لأن:

{جِدُهُنَّ جِدٌّ: وَهزْلُهُنَّ جِدٌّ}[٢٩]

وهناك كلمة واحدة يستوجب بها الإنسان ثمانين جلدة، وإن لم يجلد هنا فى الدنيا يجلد بها هناك وهى قذف المحصن أو المحصنة.

إذاً إذا الإنسان ملك اللسان فوراً يصبح من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وذلك لأن سلطان الشيطان يظهر أولاً فى فلتات اللسان.

كذلك أحفظ البطن مما نهى عنه الرحمن ومن الإمتلاء ومخالفة سنة النبى العدنان، ماذاكان يأكل حضرة النبى وأصحابه! لقيمات يقمن صلبه، وكان إذا أكل طعام الغداء لا يتناول العشاء وإذا تعشى لا يتغدى ويقول:

{أكلتان فى اليوم من السرف}[٣٠] .

٢٩ عنْ أبي هُرَيْرَةَ ، قالَ: قالَ رسولُ الله: «ثَلاَثٌ جِدُهُنَّ جِدٌّ: وَهزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ وَالطَّلاَقُ وَالرَّجْعَةُ» سنن الترمذي وأبوداود.
٣٠ رواه البيهقي في الشعب عن عائشة بلفظ أكثر من أكلة كل يوم سرف.

وهناك كثير من إخوانى يقول لا أستطيع غض البصر ولا أستطيع منع اللسان وذلك لأن كل واحد منهم يملأ خزان الوقود وهو البطن، ولا يمنع ذلك إلا الجوع، فإذا مشـيت على اللقيمات لن يسـتطيع اللسـان الكلام بل إن القلب يحضـر فى هذه الحالة ويذكر، وهنا يكون ذكر القلب ولا يأتى ذكر القلب إلا مع الجوع وهو الصيام:

جع أضـعفنها وحاذرن من غيها فالنفس شـيطان يبيد السـالكين

فالجوع هو الذى يضـعف النفس عن المعاصـى، ولذلك تقول السـيدة عائشـة رضى الله عنها:

{أَوَّلُ بَلاَءٍ حَدَثَ فِي هذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا الشِّبَعُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا شَبِعَتْ بُطُونُهُمْ سَمِنَتْ أَبْدَانُهُمْ، فَضَعُفَتْ قُلُوبُهُمْ، وَجَمَحَتْ شَهَوَاتُهُمْ}[٣١]

والأمر الثالث هو حفظ الفرج، وكما قلت فإن حفظ البطن يحفظ كل الجوارح، ولذلك لم أذكر العين والأذن، فالبطن إذا كان فارغاً هل تنظر العين؟ لا تستطيع، كذلك الأذن، أما الفرج إذا حصنه المرء إلا للحلال الذى أحله الله فإنه يُخرج رجالاً أو نساءاً يذكرون الله ويكونون فى ميزان حسناته، ولا يأتى برجال يبغضهم الله ويهدمون شرع الله كما يحدث فى الزنا والعياذ بالله ﷻ.

٣١ ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع.

وجهاد هذه الجوارح هو الأساس قبل النوافل، وإياك أن تدخل على النوافل قبل أن تمسك لسانك لأن الذى ستعمله فى سَنَة ستضيعه فى سِنَة بكلمة واحدة، وإياك أن تقبل على النوافل وأنت لم تقف على اللقمة التى تدخل بطنك لأن لقمة واحدة تضـــيع عبادة أربعين يوماً.

إذاً فبادئ ذى بدء اللســـان ثم البطن ثم الفرج، بعد ذلك أى عمل تعمله يكون رفعة لك ويدخل فى قول الله:

{وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ} [٣٢].

من ثمرات جهاد النفس

وذلك لأنك جاهدت الجهاد الأعظم فى حفظ هذه الأعضـاء وهذه المجاهدات لا تتم بالكلام أو بالقراءة والإطلاع ولكن يلزمها الفعل والتنفيذ، وأنا على المســتوى الشخصى مليت من الدروس وأريد أن أختلى بنفسى لكى أصفيها وذلك لأن الدروس بلا حساب، ولكنى لا أجد من يعمل بها:

٣٢ صحيح البخارى عن أبي هريرة.

العلم يهتف بالعمل فاعمل تنل كل الأمل

ماذا أأخذ؟ آخذ:

علم يقين بعده عين اليقين لمن وصل

عين اليقين وبعده حق اليقين كبرى الولاية

إذا عملت فإنهم يعطونى علم اليقين، وهذا العلم من باب:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢٨٢ البقرة]

وبعد علم اليقين أنتقل إلى عين اليقين:

﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ﴾ [التكاثر]

وفى الآية الأخرى يقول سبحانه:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١ ﴾ [الحاقة]

ما الفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين؟

- علم اليقين :

هو علم الإلهام الذى يلهم الله ﷻ به العبد من كتاب الله ومن سنة رسول الله، ولكنه يلهم ولا يطلع ولا يشهد، وهى بداية الولاية.

- أما عين اليقين:

فيعاين فيه العبد الملكوت فيخبر عنه ويعاين الجنة فيتحدث عنها ويعاين الحبيب فيخبر عن جماله وعن كماله، لكن لم يتم القرب بعد.

- أما حق اليقين:

فمعاينة ومجانسة ومباسطة ومؤانسة ووصل واتصال، وبالمثال يتضح المقال... مثلاً وصف أناس صادقين البيت الحرام لأحد الأشخاص ولعلمه أنهم صادقين أصبح الخبر عنده خبر صدق وصحة، هنا أصبح هذا الخبر علم يقين لكنه لم يرى شيئاً، أما عندما يذهب هذا الشخص إلى مكة ويرى البيت الحرام من بعد فهو عين اليقين، أما عندما يذهب إلى البيت الحرام ويلمسه فهو حق اليقين.

هذه يا إخوانى علوم المقربين التى تفاض على العارفين بعد جهاد اللسان وجهاد البطن وجهاد الفرج لأن ذلك هو الدليل على صفاء النفس وتزكيتها.

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بجماله، ....

وأن يكملنا بكمال أهل كماله ......

وأن يذيقنا لذة وصاله، وأن ينعمنا بالنظر إلى بديع جماله، وأن يتوجنا بتاج معارف أهل كماله، وأن يجعلنا فى نور على نور، ويكشف لنا دائماً وأبداً عن أنفسنا المستور حتى نجاهدها فى الله حق الجهاد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نسمات القربة[٣٣]

لماذا جهاد النفس؟

أول صفات المسلم

التخلص من صفات المنافقين

الإيمان والإحسان

الإخلاص

" الصمت حكم عظيم"

شعب الإيمان

٣٣ المعادى – الخميس، ١٢ من جماد الأخر ١٤٣٠ هـ، ٧ من يونيو ٢٠٠٩م

نسمات القربة

لماذا جهاد النفس؟

كلنا إن آجلاً أو عاجلاً عن الدنيا راحلون وإلى الله ﷻ مسافرون:

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم]

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ [العلق]

ستلعب بالملايين، أوسيكون معك مليارات، ستملك دول وليس قراريط، ستأتى لحظة ويقول لك تعالى، ســـتقول والذى معى؟ اتركه وتعالى كما نزلت من بطن أمك ستنزل إلى بطن الأرض: [٩٤ الأنعام]

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

ليس معك شــئ إلا الكفن الشــرعى! وماذا بعد ذلك؟ ســتذهب إلى دار الخلود، منزلتك فيها دائمة، لن تحال على المعاش وحياتك فيها لن تهتز ولا تتغير:

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾ [٦٥ الأحزاب]

وهل كلنا مثل بعض؟ لا، صاحب الدار قال:

﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ [١٦٣ آل عمران]

ما هذه الدرجات؟ أنت تخرج من الدنيا إما مسلم أو مؤمن أو محسن أو موقن أو زاهد أو عابد أو عارف أو عالم أو ولى، فلابد أن تخرج بدرجة من هذه الدرجات من الحياة الدنيا، أما الذى يخرج من هذه الدنيا وليس له درجة عندما يأتيه ملك الموت ويكف لسانه عن الكلام تظهر له النتيجة وتُفتح عينه الباطنية:

﴿ فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ ﴾ [ق]

عمر بن عبد العزيز ﷺ عند وفاته قال لمن حوله: إنى أرى حضـرة ما هم بإنس ولا جن يلبسون ملابس بيضاء على رءوسهم أردية خضراء تلوح منهم رائحة ذكية! وسـمع قرآنا يتلى فصـرف الناس ولما عادوا وجدوه قبض وقد سـجى! ، رجل آخر رأى أخته تبكى عليه، قال لها: لماذا تبكى؟!.. إنى أرى أبواب السـموات وقد فتحت وأرى الجنات وقد زينت وأسـمع منادياً ينادى ويقول يا أبا على قد بلغناك الدرجة القصوى فى الجنة وإن لم تكن تردها، لأنه يريد رفيع الدرجات.

إذا كـان واحد من أصـحاب الطموح فيما عند الله وليس فى الفانى عندما يكشفون له عن منزلته مثل سيدنا عمر بن الفارض عندما أروه منزلته فى الجنة قال:

إن تكن منزلتى فى الحـب عنـدكم   مـا قد رأيت فقد ضـيعت أيـامى

لأنه يريد شئ أعلى وأغلى وأرقى وأسمى وأبهى وأزهى.

إذا كان شخص ليس له منزلة يقول عند موته:

﴿ يَـٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [٥٦ الزمر]

إذاً لابد أن يخرج الإنسـان من هنا وله منزلة يعرفها ويرى اسـمه فى سـجلاتها بعينيه أو يطلع عيها بنفسـه،.... لو كنت وزيراً فى الدنيا، هل سـتدوم لك؟! لكن فى الآخرة دائمة:

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ ﴾ [٦٥ الأحزاب]

لن يجردك أحد من القصور وستكون وجيهاً:

﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾ [٤٥ آل عمران]

هذا لقب، وهناك لقب أعلى منه:

﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب]

هناك وجهاء الجنة وهناك وجهاء المنة، هارون الرشـــيد عند لحظاته الأخيرة مع أنه كان خيِّر ويحب الصـــالحين قال لهم: ضـــعونى على الأرض، وأخذ يتمرغ ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

أدنى درجة فى الكشف هى مسلم وأعلى منها مؤمن وهناك محسن وهناك موقن وهناك زاهد وهناك عابد وهناك عارف وهناك وارث وهناك فرد، ودرجات كثيرة أولها مسلم.

هل أنا مطمئن أنى مكتوب فى كشـوف المسـلمين؟ .... علىَّ أن أراجع نفسـى، المسلم له أوصـاف، إذا كانت هذه الأوصـاف فىَّ سـأفرح وأهنئ نفسـى وأطلب المزيد لأترقى.

أول صفات المسلم

أول أوصـاف المسـلم أن يسـلم وجهه لله، سـمى مسـلماً لأنـه يسـلم وجهه لله، أى يسلم كل الأمور لحضرة الله ولا يعترض على أى قضـاء قضاه عليه مولاه، لكن الذى يعترض على الله، هل يصح ذلك حتى فى باب الأدب؟!

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [٢٣ الأنبياء]

أعطى لفلان صبياناً وأعطى لك بناتاً، هو كما يشاء:

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ ﴾ [الشورى]

هل ستحاسبه؟! إذا كان لك حق فخذه! هل هناك حق لأحد عند صاحب الحق ﷻ؟! فالإعتراض على الله خطأ شنيع يجعل صاحبه يتأرجح ويدخل فى قول الله:

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [١٠٦ التوبة]

لأن المسلم مقامه التسليم:

﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء]

اليوم حر أو برد، من له حق التدخل فى ذلك غير خالقه وباريه، وما عليك إلا أن ترضى بأمر الله وتعلم أن هذا لحكمة لا يعلمها إلا الله ﷻ.

الأمر الثانى حتى يكون الإنسان مسلماً: لابد أن يطهر من أوصاف المنافقين، وهذه المصيبة التى يقع فيها معظم المسلمين!

التخلص من صفات المنافقين

ما هى أوصاف المنافقين؟

{ إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وإذا اؤْتُمِنَ خان وإذا عاهَدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فَجَرَ }[٣٤]

الذى فيه صفة من هذه الصفات ما له وما للإسلام، إنه يرفع من كشوف الإسلام لأن به صفة من أوصاف النفاق، قال ﷺ: { ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كان مُنافِقاً خالصاً وَإنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ}[٣٥] – لأنه يصلى ويصوم !! هل هناك مسلم يكذب؟! لا ...

هل هناك مسلم يغدر؟! لا، هل هناك مسلم يخون العهد؟! لا، هل هناك مسلم يفجر فى الخصومة ويشهر بخصمه ويشنع عليه ويشتكيه؟! لا، هل هناك مسلمٌ يخرج من لسانه كلمة تؤذى أحدا من المسلمين أجمعين؟! لا:

{لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْبَذيءِ وَلا الْفَاحِشِ }[٣٦]

إذاً من المسلم يا رسول الله؟ قال:

{ المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ}[٣٧]

٣٤ صحيح البخارى عن أبي هريرة.
٣٥ رواه مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة.
٣٦ رواه أحمد والترمذي وابن حبان عن عبدالله بن مسعود.
٣٧ صحيح البخارى عن عبدالله بن عمرو.

لابد أن يَسلم المسلمون كلهم من لسانه، ... الرسول ﷺ يشبِّه المسلم تشبيهاً عظيماً يقول فيه:

{ المسلم كالنحلة لا تقف إلا على طيب، ولا يخرج منها إلا طيب، وإذا وقفت على عود هش لم تكسره } [٣٨].

نحن كل مشاكلنا سببها سلاطة اللسان التى تحدث منا لبعضنا!!!

إن لم يكن سبًّا! أو شتماً! يكون مزاحاً ثقيلاً ونسميه كما نقول "هزاراً" !!، هل المسلم عنده هذا الكلام؟!

المسلم لا يخرج كلمة تحزن أخاه! ... ولكن يخرج الكلمة التى تسره، .... الحبيب أعطاك ميزان تزن به كل أحوالك مع جميع الأحباب والإخوان، ما هو؟ ....ببساطة الذى لا ترتضيه لنفسك لا تفعله مع غيرك، هل هناك أسهل من ذلك؟ أنت لا ترضى أن يقول لك أحدُ كلمة نابية أو جافية! .. إذاً لماذا أنت تقول لغيرك كلمة نابية أو جافية؟!

لو الإنسان وزن نفسه بهذا الميزان سيرتاح، لذلك نعجب عندما يختلف المسلمين حتى فى المسجد على الإمامة والآذان وغير ذلك! قال ﷺ:

{ صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرَ وَفَاجِرٍ } [٣٩]

---

٣٨ رواه الإمام احمد وابن أبي شيبة والطبراني.
٣٩ سنن البيهقي الكبرى عن أبي هريرة.

نصلى من أجل الجماعة، لكن لا يجب أن يحدث بين المسلم والمسلم ما يزيد فى الإحن فى القلوب والبغضـاء فى الصـدور، وسـبب كل ذلك كلمة نابية أو كلمة جافية، الذى يجعلك تقول هذه يجعلك تقول الثانية الحســـنة، الكلمة الحكيمة، الكلمة العليمة، الكلمة العظيمة.

هل هناك مسـلم يوضـع فى ديوان أهل الإسـلام ومجالسـه كلها غيبة ونميمة؟! مال هذا ومال الإسلام، الجماعة الذين يصفهم الله فى القرآن ويقول فيهم:

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ ﴾ [٤٢ المائدة]

هم اليهود، ويقول الرسول:

{ المغتاب والمستمع شريكان في الإثم }[٤٠]

والسامع شريك لأنه شجع المتكلم، إذاً ماذا أفعل يارب؟ [الأنعام]

﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨ ﴾

ولكن: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ [التوبة]

---

٤٠ المغتاب والمستمع شريكان في الإثم" غريب وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة، تخريج أحاديث الإحياء العراقي

إذاً لا غيبة ولا نميمة ولا إحن فى الصـــدور، ..... هل هناك مســـلم يجوز عليه بعد أن دخل فى قلبه الأشـــعة النورانية !!! أن يظن ظن الســـوء بأى رجل مســـلم من البرية؟!

ظن السوء هو مصيبة العالم كله، الذى يظن السوء هو فى قلبه سوء وإلا فإنه يظن الخير ... فحتى أكون مسلماً أزن نفسى بموازين المسلم:

{ المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ } [٤١]

فلا كذب ولا غيبة ولا نميمة ولا يمين زور ولا قول زور ولا سب ولا شتم ولا لعن ولا أى لفظة نابية أو جافية تخرج منه إلى أحد من خلق الله ولا يخرج منه إلا الكلام الذى يقول فيه الله:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج]

وإذا نظرت إلى أصحاب رسول الله ونماذجهم فى هذا المجال تعجب كأن معهم دكتوراه فى الذوق العام!!!

والذوق العام هو ميزان أهل الإسلام.

تريد أن تكون مؤمناً، فلتأخذ مواد الإيمان!! ما هى مواد الإيمان؟

٤١ صحيح البخارى عن عبدالله بن عمرو.

الإيمان والإحسان

{الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَن لَا إِلهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ} [٤٢]

أعرف هذه الشعب وأنفذها وأعمل بها لأكون من أهل الإيمان.

أما المحسـن فإنه يعبد الله كأنه يراه، ويشـعر أن الله يطلع عليه ظاهراً وباطناً ولا تخفى عليه خفاياه، يرى فى كل أحواله أن الله لا تخفى عليه خافية فى نفسه، وهذه بداية الإحسان، أين نحن والبداية؟! والنهاية: "كأنك تراه" وبين البداية والنهاية إحسان العمل لله.

لِمَ نتحدث كثيراً عن جهاد النفس ونركز عليه؟ .. ولماذا يركز الإسـلام على الأوامر وعلى النواهى وعلى ما يحبه الله وعلى ما يبغضه الله؟ والإجابة أن أى إنسان فى بدء خلقه الروحانى أقر واعترف بربوبية ووحدانية حضرة الرحمن، الكل المسلم وغير المسلم: [١٧٢ الأعراف]

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾

٤٢ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة.

فكانت مرحلة الدنيا اختباراً للصـــدق فى هذا الإقرار، شـــهدت لله بالوحدانية وكنت روحاً مجردة لا فيها شـــهوة ولا فيها حظ ولا فيها خيال، وجعل الله لك جســماً ركب فيه الشـــهوة وركب فيه النفس وركب فيه القوة الغضـــبية والقوة الحياتية التى تحتاجها كلها من غرائز وغيرها ليختبرك:

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [٢ الملك]

من الذى ســـيوفى بما قال؟ ومن الذى ســـيخل بما عاهد عليه الواحد المتعال؟ ولذلك قال الله فى إبراهيم:

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم]

وفىَّ بما عاهد الله عليه، وقال فينا وهذا هو الأمر المخيف فى خلاصـــة المؤمنين:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

أى ليس كل المؤمنين صـــــدقوا لأنه قال: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وليس من الناس: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ هؤلاء الرجال فى كل عصر وليس فى عصر رسول الله فقط:

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾

[الأحزاب].

هذا العهد وهو عهد الربوبية ومضـــمونه أن نوحده ولا نشـــرك به شـــيئاً وأن نطيعه فلا نعصـــاه وأن نذكره فلا ننســـاه وأن نشـــكره فلا نكفر نعمه وعطاياه، هذه تفاصيل بنود العهد.

التوحيد لله بأن نوحده ولا نشرك به شيئاً، وما معنى نوحده؟ أى كل عمل وكل قول لا يريد به الإنسان ظاهراً أو باطناً إلا وجه الله، ولذلك قال حبيبنا وقرة أعيننا ﷺ:

{مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ} [٤٣]

٤٣ رواه الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن غنم الأشعرى.

لأنه صلى من أجل الناس، فلو لم يرى الناس لا يصلى فهذا قد أشرك، لكن لو كنت أصلى وأسعد عندما يرانى الناس فهذا ليس رياء، لكن الذى لو رأى الناس قام إلى الصلاة وإذا لم يره الناس تساهل ولم يُقم الصلاة فهذا هو المرائى لأنه يصلى من أجل الناس:

{مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ ، ومَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ}[٤٤]

وجمعها فى الحديث القدسى عن الله ﷻ:

{مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ. وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ}[٤٥]

أى عمل تضع فيه شيئاً مع الله لا يقبله الله لأن هذا العمل فيه شرك:

﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف]

٤٤ مسند الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن غنم.
٤٥ مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة عن أبي هريرة.

وهذا هو الشرك الخفى الذى يقول فيه ﷺ:

{الشِّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ}[٤٦]

ويشير إليه الله فى قوله: [يوسف]

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

أكثر المؤمنين إيمانهم فيه شرك، لماذا؟ لأنه يدخل الأشياء فى طاعة الله.

الإخلاص

طاعة الله تحتاج إلى الإخلاص، والإخلاص أن يكون العمل خالصاً لوجه الله ﷻ لا فيه حظ للنفس ولا فيه نظر إلى الخلق، إذا كان العمل فيه نظر للخلق وتطلع إليهم ويريد أن يثنوا عليه ويمدحوه ويعظموه ويبجلوه من أجل هذا العمل فإن هذا العمل فيه شرك خفى، وإذا كان العمل فيه حظ للنفس أى سيعجب بنفسه ويتباهى بها ويفتخر بعمله ويُدل على الخلق بهذا العمل ويُدل على الله بهذا العمل، وما دام هو يطيع الله فعلى الله أن يحقق له كل ما يتمناه ويريد أن يشارك الله ﷻ فى حكمه:

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء]

٤٦ الْحكيم (ك حل) عن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنهَا. في جامع المسانيد والمراسيل.

الذى أنت تريده لا تدرى إن كان خيراً لك أم شراً، فالله ﷻ يحبك ولا يرضى لك إلا الخير، لكن أنت لا ترى الخير فلابد أن تسـلم لأنه أعلم بك منك وأرحم بك منك وأحن عليك من أبيك وأمك، فإذا منع فإن المنع يراه الصـالحين عطاء لأن الله ﷻ لا يمنع خيراً عن مؤمن إلا إذا كان فى باطنه بلاء أو داء، وهو ﷻ لا يريد أن يُنزل عليك بلاء ولا أن يصـيبك بداء، فإذا رأى هذا الخير فى نظرك فيه ذاك صـرفه عنك، إذاً الصرف هنا عطاء أم بلاء؟!

عطاء لأنه صرف عنك البلاء أو الداء.

إذاً الإخلاص أن يكون العمل ليس فيه نظر للخلق ولا حظ للنفس وأن يكون المقصد رضاء الله، إذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة يبشره سيدنا رسول الله كما بشر أبوذر وقال له:

{اخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقليلُ}[٤٧]

فنحن قد جئنا إلى الدنيا من أجل هذا الإمتحان وهذا الإختبار فى معرفة الله وفى طاعة الله وفى شـكر الله على نعم الله وعطاياه وفى إفراد الله ﷻ بالألوهية وعدم الشرك به لأى شئ سواه، وأى امتحان لابد أن تكون فيه درجات للممتحنين، وتقدير للمبرزين والمتفوقين ولذلك قال الله ﷻ فى شأن الممتحنين:

٤٧ رواه الحاكم وابن أبي الدنيا عن معاذ.

﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [١٦٣ آل عمران]

هل لابد من الامتحان؟ لابد من الامتحان:

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾

وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ

ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت]

فلابد من الامتحان حتى يعلم هذا من ذاك، ما هى مواد الامتحان؟

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ

وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [١٥٥ البقرة]

من الجائز أن يبتليك بها كلها إذاً أنت صــاحب مكان عظيم، أو يبتليك ببعضــها فتكون مكانتك أقل، أو يبتليك بواحدة فقط فتكون المكانة أقل، فكلما زاد البلاء كلما عظم العطاء، ولذلك قال سيد الرسل والأنبياء:

عن مُصْعَبِ بنِ سَعْدٍ عن أَبِيهِ قال قُلْتُ: يا رسولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قال: {الانْبِيَاءُ ثُمَّ الامْثَلُ فالامْثَلُ}[٤٨]

لأن البلاء هو السبب فى العطاء،...... فيخرج الإنسان من الدنيا وله درجة.

البلاء ليس كله الذى ذكرناه ولكنه جزء، فهناك بلاء أشـد وقعاً على النفس وهو الذى لا يفطن له إلا الصـــالحون وهو الحفظ من المعاصـــى التى نهى عنها الله، كيف يحفظ الإنسان نفسه من جميع النواهى؟ .. مثلاً مثل:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [١٢ الحجرات]

﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [١١ الحجرات]

﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ [١١ الحجرات]

٤٨ مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي.

كـل هـذه نواهى، وغيرهـا الكثير! مـا موقفى فى مـادة النهى هـذه بمختلف بنودها.؟.؟؟ وهذه هى بداية المسلم.

ثم تأتى المادة الثانية ... وهى مادة الأوامر والطاعات...:

﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ [٢٣٨ البقرة]

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [٤٣ البقرة]

أما البلاء والابتلاء للنجاح فى درجات العلياء ...

فكيف يحفظ الإنسـان نفسـه إذاً من الوقوع فيما نهى عنه ربُّه .. ويعلم المرء علم اليقين أن أبانا وأبا الخلق أجمعين آدم أخرج من الجنة بمعصـــية واحدة، فكيف تطمع أن تدخل الجنة مع المعاصى التى لا عدَّ لها ولا حدَّ لها:

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾

[طه]

والمعصية هنا كانت نهياً واحداً: [الأعراف]

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

لا تشغل بالك بنوع الشجرة ولا تفكر فى ذلك، بعض الجهال يقولون أنها شجرة الحنطة (القمح)، وهل هناك أحد يسمى القمح شجرة؟!

إنها رواية توراتية لا يتقبلها حتى العقل العادى، لا يهم نوع الشجرة ولكن المهم هو النهى: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ ولكنه قرب منها فوقع فى البلاء، ولذلك أهم ما يحرص عليه طالب العلياء أن يحصن نفسه من كل نهى ورد فى كتاب الله أو نبه عليه ونوه عنه سيدنا رسول الله.

إذا حفظت نفسك من المنهيات تُدخل نفسك فى الطاعات، لكن الذى خلط هذه بتلك وهذه فى معظم المسلمين الآن:

﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [١٠٢ التوبة]

ما شأنهم؟ قال تعالى فى [١٠٦ التوبة]:

﴿ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾

" الصمت حكم عظيم"

إذاً الجهاد الأول فى المنهيات وأعظم المنهيات التى يقع فيها اللسان أو التى تقع فيها البطن أو الفرج والعياذ بالله ﷻ، من ملك لســـانه فقد ملك حاله ... ولذلك كان الدرس الأول لأصحاب الحبيب الأول هو الصمت، يقول سيدنا أبوالدرداء ﷺ كما ورد فى كتاب مكارم الأخلاق للخرائطى:

{ تعلموا الصمت كما تتعلمون الكلام، فإن الصمت حكم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك، ولا تكن مضحاكا من غير عجب، ولا مشاء إلى غير أرب **(غير حاجة)** }.

المصــيبة فى زماننا أن معظم المســلمين لا يبالى بهذه المخالفات ولا يحاسـب نفسه عليها على أنها مخالفات، مَنْ من المسلمين يحاسب نفسه على الكذب؟

بل إنه يلتمس لنفســـه الأعذار حتى يبرر كذبه، ويبرر لنفســـه الغيبة والنميمة والســب والشــتم واللعن والكلمة النابية والكلمة الجافية وما شــابه ذلك مما يخرج من اللسان.

لكن بداية أصحاب رسول الله كانت لسان لا يتكلم إلا بما يرضى الرحمن، نحن الآن نذكر الله أو نتلو كتاب الله ولكن لا مانع أن يأتى أحد ونتكلم معاً فى غيبة إنســـان ثم أعود مرة أخرى لتلاوة القرآن، هل يصح ذلك؟!

لو سـأتلو القرآن إذاً يجب أن يكون اللسـان طهر من إصـابة عورات جميع بنى الإنسان، حتى كان الواحد منهم لو نادى حتى على حيوان يناديه بلفظ حسن يكتبه عليه الرحمن.

سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام رأى خنزيراً فقال مر يا مبارك، فقالوا له إنه خنزير، فقال كرهت أن ينطق لســـانى بهذه اللفظة، لكننا الآن نقولها لآدميين كرمهم رب العالمين:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [٧٠ الإسراء]

الله كرمه وأنا أهينه ثم أرجوا بعد ذلك رحمة الله، حتى لو كان ابنك فيجب عليك أن تربيه على الخلق القويم، قال فى ذلك النبى الرءوف الرحيم:

{ مَا نَحَلَ وَالدٌ وَلَدَهُ، أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ } [٤٩]

أحسـن عطية تعطيها لابنك أن تعطيه خلق حسـن، حتى الكفار فى القرآن انظر كيف ينادى عليهم الله، مرة يقول:

٤٩ مسند الإمام أحمد عن عمرو بن سعيد.

﴿ يَبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ ومرة يعظمهم ويقول:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ لكن نـدائنـا نحن:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ نداء كله حنان ورقة ورحمة وشــفقة من الرحمن ﷻ، يعلمنا الله حتى فى مخاطبة الكافرين التكريم والتعظيم، لكنه عندما يصـــف أحوالهم قال: [١٧٩ الأعراف]

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾

حتى يكرهنا فى هذه الأوصـــاف، لكن عندما ينادى عليهم نداء كله أدب وذوق من الله ﷻ الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فجهاد الإنسان المسلم حتى يخرج من الدنيا ومعه شهادة بأنه:

﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس]

لابد أن يجاهد أولاً نفسه فى المنع عن كل ما نهى عنه الله، ولا يُئَوِل ولا يجتهد، ويجاهد نفسه بعد ذلك فى الطاعة لأنك لو ملأت البر والبحر والجو عبادة وأنت مفرط فى النواهى، نهى واحد من الممكن أن يُخَلِّص على هذا الرصيد من العبادة.

عندما يذهب الشخص بعبادته إلى الجنة ينادى مناد الله من كانت له مظلمة عند فلان فليخرج، فيقول أحدهم إنه شتمنى ويقول آخر إنه سبنى ويقول آخر إنه اغتابنى، فيقول رب العزة وعزتى وجلالى لا تدخل الجنة حتى ترضى خصمائك، ولا يرضوا عنه إلا إذا دفع لهم من رصيد حسناته، وبعد انتهاء رصيده يعلن إفلاسه ولم يرضهم بعد فيأخذ من سيئاتهم، إذاً بماذا تنفع الطاعات فى ذلك الوقت؟! ولذلك قيل: لا يكون الرجل رجلاً إلا عند المعاصى، لأن الطاعات سهلة.

إذاً الإنسان سيخرج من هذه الدنيا على مقام من مقامات الدين، لو أراد أن يخرج على درجة مسلم صادق الإسلام لرب العالمين فعليه أن يحفظ نفسه من المنهيات ويعين ويجاهد نفسه على أداء الطاعات ويحاول أن يحليها بالإخلاص لله عند أداء هذه الطاعات حتى تكون قربات ينال عليها أرفع الدرجات عند رفيع الدرجات ﷻ.

الأســـاس الثانى: أن يخرج من هذه الدنيا ســـالماً فى علاقته بالآخرين، لم يأكل أحد ولم يغش أحد ولم يســـتولى على ميراث أحد ولم يتســـبب فى مصـــيبة لأحد ولم يتسـبب حتى فى أذى نفســى أو معنوى لأحد، وأظن أن هذه الأشـياء لو اتبعها مجتمع المسـلمين الآن فماذا سـيكون شـكلهم؟ سـتكون الجنة، لو الإنسـان المسـلم عمل بقول الحبيب:

{مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يعْنِيهِ}[٥٠]

كان فى قمة القرب من خالقه وباريه، لكننا للأسـف فضـوليين ونريد أن نعرف كل صـغيرة وكبيرة عن غيرنا، الأفضـل أن أعرف كل صـغيرة وكبيرة فى صـحيفتى عملاً بقول الحبيب:

{طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ}[٥١]

انشــغالنا بالآخرين أدى إلى انتشــار ســوء الظن بين المســلمين وهذا هو الوباء الأعظم الذى دمر مجتمعات المســلمين، على الإنســان أن يحســن ظنه بالجميع، ولا يوجد مسلم سيدخل فى روضة:

٥٠ رواه أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة.
٥١ (فر) عن أنس فى جامع المسانيد والمراسيل.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام]

إلا إذا طهر نفســـه بالمطهرات القرآنية وصـــفى قلبه بالمراهم المحمدية من مرض سوء الظن، وبدلاً من سوء الظن حَسِّن الظن بكل مسلم من عباد الله ﷻ، لأن سوء الظن هو الذى أخرج إبليس عندما لم يسجد لآدم ظناً منه أنه أفضل منه: [الأعراف]

﴿ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾

فطرد من رحمة الله مع أنه عَبَد الله اثنين وســبعين ألف ســنة، حتى نعرف أن العبادة بمفردها لا تغنى ولا تنفع، مَن الذى سيتعبد لله مثل إبليس؟ لا يوجد، وهل أنكر إبليس وجود الله؟ أبداً، إذاً ما الذى طرده من رحمة الله؟ مخالفته لأمر واحد لله وهو السجود، فلم تنفعه طاعته، هذا من أجل أن يكون الشخص من المسلمين:

﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [فصلت].

شعب الإيمان

فإذا أراد أن يكون من المؤمنين فإنها تحتاج إلى شــئ أغلى، فعليه أن ينظر إلى شعب الإيمان ويتعرف عليها ويعلمها ويعمل بها:

{الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَن لَا إلهَ إلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ}[٥٢]

أين المســلمون الآن الذين يميطون الأذى حتى عن الطريق العادى، الذى يعمل بهذا الحديث الألمان والأوربيون فالذى يرمى ورقة فى الشـــارع عليه غرامة والذى يقطف زهرة من حديقة عليه غرامة، لكن شـوارعنا بها أذى كامل للمسـلمين، هل هذا نهج الإسلام؟

لا، ونقول إننا من المؤمنين! إن أقل درجة من درجات الإيمان إماطة الأذى عن الطريق.

حقيقة إماطة الأذى عن الطريق أى عن طريق الله أى يجب أن أكون أنا صورة لما ينبغى أن يتجمل به أهل طريق الله، ما الذى ضيع الطريق؟

٥٢ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة.

لأن من ينتسب إلى الطريق ويقول عنه الشيخ فلان وسلوكه وأفعاله منافية لأقواله فهذا قد تسبب فى الأذى لطريق الله، ولكن إماطة الأذى عن طريق الله أن يكون قدوة طيبة ونموذج حسن فى سيره وسلوكه مع أهله ومع زملاءه فى عمله ومع جيرانه ومع أصدقاءه ومع كل خلق الله ﷻ.

وبالنسبة لإماطة الأذى العام فإن الذى علم أوربا النظافة هم المسلمون، فعندما فتحوا الأندلس وجدوا أهلها يتباهون بأن فلانة لم تستحم فى حياتها ولا مرة وتسمى قديسة، من الذى أدخل الحمامات إلى أوربا؟

إنهم المسلمون، لأن ديننا يوجب على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبع مرة على الأقل، حضرة النبى ﷺ رأى أصحابه يدخلون عليه وأسنانهم صفراء غير نظيفة فقال لهم:

{ما لَكُمْ تَدْخُلونَ عليَّ قُلْحاً ؟ إِسْتَاكُوا فلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِى لامَرْتُهُمْ بالسِّواكِ عندَ كلِّ طهُورٍ}[٥٣]

وأمرهم أن يضعوا عطراً قبل دخول المسجد أو قبل الجلوس فى مجلس، مَن الذى علم أوربا كل ذلك؟ المسلمين، لكن الذين يقولون أنهم من الصالحين وتعتقد الناس أنهم هم الصالحين ويلبسون خيشاً أومرقعات والذى يمشى حافياً والذى يترك شعره وكله قمل ويقولون أن هذه كرامات، من الذى قال أن هذه كرامات؟!

٥٣ رواه أحمد والطبراني في الكبير عن تمام بن العباس.

الكرامات ما كان عليه محمد رســول الله وصــحبه الكرام، ولكن هؤلاء زلُّوا، ربما ظنوا أن فى هذا جهاد للنفس، ولكن جهاد النفس ينبغى أن يؤســس على منهج رسـول الله والذين حوله، فيجب ألا أتبع مثل هؤلاء ولا أقتدى بهم ولكنى أقتدى بأتباع رسول الله والصحابة الأجلاء الكرام ﷺ فى كل وقت وحين.

البعض يعيب على الصوفيه أنهم يلبسون زياً نظيفاً ويركبون سيارات، ما هى الصوفية؟ ... إنها صفاء القلب، صفى قلبك وكن كيف شئت.

سيدى أبوالعباس المرسى ﷺ يقول:

عزمت مرة فى نفسى أن ألبس الخشن وأن آكل الخشن وذهبت إلى سيدى أبى الحسن الشاذلى لأستأذنه فإذا به يكلمنى قبل أن أسأله ويقول: يا أبا العباس اعرف الله وكن كيف شئت.

إذاً دائرة الإيمان تحتاج إلى جهاد أعظم فى العمل بشــعب الإيمان حتى يتحقق الإنسان بها، وكلما يزيد فى العمل بشعبة يزيد فى درجة الإيمان.

الإحسان أن يعبد الله ﷻ كأنه يراه، وأساسه الإخلاص فى العمل لله، بأن يتحرى فى كل عمل إخلاص القصـد فيه لله، ويتحرى ثانياً أن تكون هذه النية الطيبة من بداية العمل لا تفارقه إلى منتهاه، وألا يرى العمل بسـبب قوته أو حرصـه أو مهارته ولكن يراه توفيقاً من الله ﷻ له:

﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [٨٨ هود]

وأن يلاحظ أن الذى يمده بالحول والطول والقوة والمعونة فى كل عمل هو الله، ولولا إمداد الله له لما استطاع نَفَساً واحداً أن يتوجه بأى طاعة إلى مولاه، فيتحقق فى كل أعماله بقول الله:

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة]

وألا يُدل بعمله على الله فيظن أنه بلغ منازل عليا أو درجة فى الجنة أو نعيماً من نعيم القرب بسبب عمله، بل يعتقد أن كل ذلك منة من الله وفضل من الله، أما عمله فلو حاسبه الله ﷻ عليه حساباً شديداً ما تقبل منه عملاً واحداً لهفوات النفس وإساءاتها وغروره أو عدم تحقق إخلاصه فيه، فيعلم علم اليقين أن الفضل فضل الله:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس]

إذا تحقق بذلك ارتقى إلى مقام الإيقان، ومقام الإيقان له شأن آخر، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نسمات الحبيب

الإقتداء فى جهاد النفس بحبيب الله ومصطفاه ﷺ ومن على نهجه

الأولياء والأولياء المرشدون

المنهج الوسط لسيد الأولين والآخرين

زهد الزاهدين وزهد العارفين

الأبدال بين الصدق والوهم والدجل

٥٤ المعادى – بعد الجمعة، ١٣ من جماد الآخر ١٤٣٠ هـ، ٨ من يونيو ٢٠٠٩م

نسمات الحبيب

الإقتداء فى جهاد النفس بحبيب الله ومصطفاه ومن على نهجه

أخى الحبيب وياكل من يريد أن يصل إلى الله من الطريق القريب! فلا تتشعب به السبل ولا يضل ولا عن الحق يتوه أو يغيب! ....

لا تتَّبع ولا تجاهد نفسك فى الله على أى هيئة .... إلا إذا تأكدت أن هذه الهيئة كان عليها رسول الله ﷺ أو أحد صحابته الكرام، الذى خلط الأمر على كثير من المسلمين فى الحكم على الصالحين ما رأوه على بعض أهل الجذب الصادقين.

الأولياء والأولياء المرشدون

وأهل الجذب الصادقون لهم طرق فى جهاد النفس لا يستطيع أن يقلدهم ويتابعهم فيها أى عبد، هذه خصوصيات، وأهل الجذب الصادقون عموماً لا نعترض عليهم ولا نقتدى بهم، قدوتنا فى السير إلى الله العلماء العاملين من الصالحين،

فالمجذوب يسمى ولى، أما العالم العامل فيسمى ولياً مرشداً لأنه يرشد ويوجه ولذلك قال الله:

﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [١٧ الكهف].

الذى أوجد اللبس أن الناس خلطت بين أهل الجذب الصـــادقين وبين المخابيل الذين عندهم خبال فى عقولهم، ولأن فى عوام المسلمين سذاجة وطيبة وبساطة فكلما رأو شخصاً فيه قصور فى عقله ويفعل أشياء غريبة يعتقدون أنه ولى من الأولياء، وهذه هى المشكلة، ما لهؤلاء وما للولاية؟!

هؤلاء مخابيل أو مجانين عندهم قصـــور فى عقولهم!، لكن أهل الجذب الصادقون لهم علامات:

العلامة الأولى: أن يكون على علم، فلا يفعل شـــيئاً بدون علم، لذلك تجد أن الأولياء الذين اشتهروا من أهل الجذب كانوا علماء مثل سيدى أحمد البدوى كان من فطاحل العلماء وله كتب، وسيدى إبراهيم الدسوقى، وفى عصرنا كان الشيخ أحمد رضوان وكان من كبار العلماء.

العلامة الثانية: أن يحافظ على شــرائع الله، لأن أهل الجذب الصــادقين لابد أن يرد الله حالهم لهم وقت الصــلاة ليؤدوا الصــلاة لله فلا يغيب فى هذه اللحظة، لن تجد رجلاً من أهل الجذب الصـــادقين مفطراً عياناً فى نهار رمضـــان لأنهم مؤدبين مع الرحمن ﷻ، وكذلك لن تجد رجلاً من أهل الجذب الصـــادقين يفعل أفعالاً مع النســـاء تنكرها عليه الشريعة الغراء.

هذه هى الأحوال التى خلطت الحق بالباطل ولبَّست على الناس وجعلتهم يعيبوا على الصوفية الصادقين، لأن هؤلاء تصدر منهم أحوال لا تطابق الشرع ولا تطابق أحوال رسول الله ﷺ.

لكن أنا أقول حتى الصـــادقين من أهل الجذب لا نؤمر باتباعهم فى جهادهم لأنفسهم وسلوكهم إلى الله ﷻ إلا إذا تكمَّل الرجل منهم ووصل إلى الكمال واستقرت به الأحوال وأمره الله ﷻ بإرشاد أهل الله للوصال، فهنا أتبعه فى هذا الحال.

على سبيل المثال مّن يستطيع أن يقف كما كان يقف سيدى أحمد البدوى أياماً لا يقعد ولا يشرب ولا ينام ولا يأكل، هذا حال لا يستطيع إنسان أن يتابعه والذى يحاول أن يقلده فيه ســيهلك نفســه لأنه أدخل نفســه فيما ليس له الدخول فيه، لكن متى أتبعه؟ بعدما استقرت به الأحوال وأُمر أن يرشد الرجال.

المنهج الوسط لسيد الأولين والآخرين

لذلك نحن نمشــى على المنهج الوسـطى الذى كان عليه سـيد الأولين والآخرين والذى قال لنا الله فيه:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [١٤٣ البقرة].

إذاً لا يجوز لرجل منا أو ينتســـب إلينا أن يترك أهله وذويه ويذهب إلى مكان منعزل إن كان فى مســـجد خرب أو فى صـــحراء ويزعم أنه تفرغ لعبادة الله لأن هذا ليس نهجاً، قيامه ليلة على رعاية ابن مريض خير من قيامه ألف ليلة صــــلاة للحميد المجيد ﷻ، ليس من منهجنا العزوبية بأن يظل المرء مع الاســـتطاعة البدنية والمالية منصرفاً عن الزواج بحجة أن هذا أقوى له على طاعة الله لقول الحبيب ﷺ:

{... أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّى لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّى أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّى وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى فَلَيْسَ مِنِّى} [٥٥]

٥٥ صحيح البخارى ومسلم عن أنس بن مالك.

ليس من هدينا أن يظهر الإنسان فى صورة زريّة فى ملابسه وهيئته مع استطاعته المادية بحجة أن هذا لتقويم نفسه، إن منهج الإمام أبوالعزائم ﷺ وأرضاه الذى نحن أتباعه قال لنا فيه:"تزوج أجمل النساء وكل أشهى الطعام واشرب أفخر الشراب واستخدم ألين الفراش على أن يكون كل ذلك من حلال وتشكر الله ﷻ عليه بعد ذلك". .... لكن الآن مثلاً أنا مسافر وذاهب إلى أسوان ومعى المال فبدلاً من أن أسافر فى قطار مكيف أسافر فى قطار عادى بحجة أن هذا جهاد للنفس والصالحون كانوا كذلك! من قال ذلك من الصالحين؟!

زهد الزاهدين وزهد العارفين

هذا نظام الزاهدين، والزاهدون شئ والعارفون شئ آخر!!

لو أنَّ الله وسَّع علىَّ ومعى الأموال وأطعم أولادى فى كل وجبة عسل أسود بحجة أن هذا جهاد لأنفسهم، أى جهاد هذا؟! لو ليس معى أمشى على قدرى، لكن لو كان معى فلماذا لا أوسِّع على من معى؟!

معى الأموال وأرفض أن آتى لأولادى بمروحة أو تكييف بحجة أن هذا تبذير وأقول أن الصالحين كانوا ينامون فى الصيف فى فرن ليجاهدون أنفسهم، هل هذا جهاد للنفس؟! وعلى منهج من هذا الجهاد؟!

الحبيب الاعظم ﷺ رُوى عنه أنه لما أقبلت الوفود للدخول فى دين الله أفواجاً اشترى حلة لمقابلة الوفود بسبعة وعشرين جمل، هل كان فى ذلك تبذير أو إسراف؟ لا:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [٣٢ الأعراف]

يكون معه المال وتكون عبادته قيام الليل ويصـــوم النهار بحجة أن هذا منهج الصالحين، نقول له: يا هذا لقد أدخلت نفسك فى غير مدخلها فقيام الليل وصيام النهار للفقراء الذين لا يملكون أما أنت فعبادتك الإنفاق:

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [٣ البقرة]

يقوم الليل ويصـوم النهار وهو مقتر ويظن أن هذه هى العبادة، أى عبادة هذه؟! عبادتك الإنفاق، لأن لكل إنسان عبادته، حتى تدخل فى قول الخلاق:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [٧ إبراهيم]

إذاً نحن فى كل مراحل جهادنا لأنفسـنا نقتدى بحبيب الله ومصـطفاه، ومَن بعده من الصحابة والتابعين الصادقين والعلماء العارفين العاملين...

الذين قال فيهم الله:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [٩٠ الأنعام]

لكن الذى ورد عن الصـالحين فيه اختلاط للأمر بين أهل الخبال وأهل الجذب، وحتى أهل الجذب الصـادق لا نقتدى بهم ولا نعترض عليهم لأنهم يفعلون ذلك لأمر بينهم وبين الله.

لكن نقتدى بالولى المرشـد العالم العامل الذى على هدى الله وعلى هدى حبيب الله ومصطفاه وعلى هدى أصحابه المباركين وعلى هدى خيار التابعين وكُمل الأولياء إلى يوم الدين، وهذا هو الهدى الذى مشـينا عليه، وعليه نهجنا ونهج الصـالحين أجمعين إن شاء الله.

الأبدال بين الصدق والوهم والدجل

البدَل هو الذى بدَّل صـفاته بصـفات محبوبه، فبدَّل سـرعة الغضـب وسـرعة الإثارة بالحلم من سيد الحلماء ﷺ، وبدَّل العجلة فى كل الأمور بالأناة أى التأنى فى كل أمر، وبدَّل الظلم والميل إليه بالعدل، هؤلاء هم الأبدال، وهذا الجهاد يقول فيه الشـيخ أبويزيد البسطامى ﷺ:

(ليست الكرامة أن تطير فى الهواء فإن الطير تفعل ذلك، ولا أن تمشى على الماء فإن الأسماك تفعل ذلك، ولا أن تقطع ما بين المشرق والمغرب فى لحظة فإن إبليس يصنع ذلك، ولكن الكرامة أن تغير خلقاً سيئاً فيك بخلق حسن).

وهذا هو جهاد أهل اليقين وهو أن يُقَلِّى نفسه أى صفاته ويغيرها ويبدلها، إذا رأيت أن كل صفاتى جمال فأنا محروم من الوصال ومحروم من درجات أهل الكمال لأن الذى يريد الوصال والكمال فإنه يبحث عن عيوب نفسه لا عن عيوب غيره!، لأن الذى يبحث عن عيوب غيره لن يرى عيوب نفسه.

وهذه مصيبة معظم إخواننا، هل هناك أحد خالٍ من العيوب؟! لا يوجد أحد خالٍ من العيوب، لكن هناك صفات حسنة و صفات أخرى سيئة، أما الخالى من العيوب فى الكون كله .. فليس إلا واحداً فقط ! واحد ولم يأتى قبله ولا بعده وهو رسول الله ﷺ:

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

الشيخ ابن الفارض أخذ يسوح ويجول وهو يردد هذا البيت فى صحراء المقطم ..... فإذا به يسمع من يقول له:

محمد الهادى الذى عليه جبريل قد هبط

أما الباقى فكلنا فينا عيوب، والماهر فينا هو الذى يسلط كاميراته على نفسه ويرى هذه العيوب ويعالجها واحداً تلو الآخر

وهذا هو الذى يكون مؤهلاً لمقامات الكمال ومطلوباً لأن يكون من كُمل الرجال لأنه يصلح عيوب نفسه، إلى أن يكون قريب من القريب، وفيه جمال يشابه جمال الحبيب، وجمال الحبيب الذى خصه الله به ونسأل الله أن يجعل لنا فيه أوفى نصيب هو:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٤ القلم]

فالبدَل بدَّل صفاته، ولما بدَّل صفاته قد يخصه الله بعطاء، ومن جملة هذا العطاء أن يبدل الله هيئته إلى عدة هيئات فى عدة أماكن وجهات ليزيده رفعة عنده فى الدرجات فى تبليغ رسالة الله، كيف؟

من فينا يستطيع أن يغطى الكون كله؟! لا يوجد! ... فحتى يزيد له الله فى الأجر يعمل له عدة صور، صورة تصلى الجمعة هنا وصورة تصلى الجمعة فى الصعيد وصورة تصلى الجمعة فى أندونيسيا وصورة تصلى الجمعة فى باكستان وكل صورة لها أجرها ولها نورها، لكن الكل قائم بأوامر الله ومحافظ على فرائض الله.

لكن الذى يدَّعى البدلية وتارك للصلاة، فهذا يعيش فى وهم أو فى لبس أو فى خبال، أو ضحك عليه مجموعة من الشياطين وألبسوه الخلعة خدعة وقالوا عليه أنه سلطان السلاطين وضحكوا على من حوله بهذه الكيفية وانتهى الأمر.

وهنا تحذير: بأن الذى أساء لكثير من الصالحين كثير من المنتسبين للطرق ويدَّعون أنهم مشايخ ويعملون فى موضوع الجن والسحر حتى يجذبوا المريدين، حتى أن الناس الآن ربطوا هذا الموضوع بالصالحين وجعلوها لازمة من لوازم الصالحين أن يعرفوا فى السحر والجن، من الذى قال ذلك؟! ما للصالحين وما للسحر والجن؟!

فكثير منهم يمشى فى هذا المنهاج، وإذا مشى فى هذا المنهاج يضله الجن وينصبوه ويساعدوه بأن يُظهروا له ويقولون له أن فلاناً عمل كذا وكذا بالأمس، فتأتيه الناس من هنا ومن هنا، وكل الذى معه جان يكشفون له بعض خفايا بنى الإنسان من باب قوله سبحانه: [٢٧ الأعراف]

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

لكن ليس هذا طريق الرحمن ﷻ، فطريق الرحمن علم وعمل ورعاية لله ﷻ.

فالأبدال بدَّل الله صفاتهم وخصهم الله ﷻ بخصوصيات منها إمكانية التواجد فى أكثر من موضع فى وقت واحد، وهذه خصوصية لزوم تربية، لأنه لديه مريدين أحدهم عنده مشكلة فى مكان وأحدهم فى مكان آخر.

إذاً لابد من صورة هنا وصورة هنا أو أكثر من صورة، ويراه الكل فى وقت واحد، مثل الذى يحدث فى عالم الرؤيا فمن الممكن أن يراه فى ليلة واحدة خمسمائة وكل واحد يرى رؤية ولكنها تتعلق بحقيقة واحدة، فهذه إكرامات من رب البرية لزوم التربية وليس للمباهاة ولا للفخر ولا ليتحدث ويقول أنا وأنا، قال الرجال ﷺ: (من قال أنا فقد نأى).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نسمات المعيَّة

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾[٢٩ الفتح]

ثلة الحق

الصور الهادية

نباهة الاقتــــداء

مهمة المؤمن فى الحياة

أثر الرفق واللين

---

٥٦ المعادى – الخميس، ١٢ من رجب ١٤٣٠ هـ، ٩ من يوليو ٢٠٠٩م

نسمات المعيَّة

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾

ثلة الحق

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

حبيب الله ورسوله وصفى الله ونبيه ظهر فى الدنيا فى زمان عمت فيه الظلمات وانتشــرت فيه الجهالات وطمَّ فيه الفســاد فى كل الأنحاء والجهات، فاســتطاع بهمته العالية وروحه الراقية وأخلاقه الســامية أن يغير حال العالم كله فى أوقات قصــيرة نعلمها جميعاً وقرأناها وسمعناها فى كتب السيرة!

وأســـرار هذا التتغيير أعجزت فطاحل العلماء وكبار المؤرخين والفلاســفة والاجتماعيين ... فى كيف حدث هذا الزلزال الربانى العنيف الذى غيَّر الكون كله فى هذا الوقت اليسير؟!

ولم يكن هذا الحدث فلتة فى الزمان لا يتكرر ولا يحدث مرة أخرى، لكن جعله الله ﷻ ممكناً لأى ثلة مباركة يتعلقوا بهذه الذات الشــريفة ويتخلقوا بأخلاقها ويتأســوا بفعالها ويقتدوا بهديها وتكون لهم أرواح عالية وهمم راقية، لا يريدون الدنيا الدنية ولا الشـــهوات الخفية أو الجلية بل تكون كل همتهم إرضـــاء ذات الله ﷻ فى كل حال وفى كل نفَس وفى كل عمل.

لو وجدت هذه الثلة فى كل زمان ومكان فإن الله ﷻ يصـــنع لهم ويفعل بهم كما فعل مع النبى العدنان ﷺ:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ الفتح]

فى أى زمان وفى أى مكان، لم يخصــص حضــرة الرحمن فى القرآن عن هذه الثلة زمان أو مكان: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ أين كانوا وكيف كانوا، فى أى أرض من أرض الله كانوا وفى أى زمان من أزمنة الدنيا بانوا جعل الله ﷻ على أيديهم هذا الإنعام وهذا الإكرام، بل زاد الله ﷻ وجعل هذا الأمر وعداً على ذاته:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

ومنكم أى من الأمة فى أى زمان، ما هو الوعد؟ [٥٥ النور]

﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ

لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى

لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾

وعد لا يتخلف لأن الله ﷻ لا يخلف الميعاد، يخلف الوعيد لرحمته وحنانته وعطفه وشفقته، لكنه لا يخلف الوعد، إذا وعد وفَّى، وإذا أوعد يخلف لحنانته ومغفرته وعفوه ورأفته وهذا من عظيم صفات العظيم ﷻ.

هذه الثلة المباركة جعل الله ﷻ مسرحها هذا الكون، والقائمين بالأدوار فيها ينفذون مسرحية:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ الفتح]

منهم من يمثل دور الصِدّيق ومنهم من يمثّل دور الفاروق ومنهم من يقوم بدور ذى النورين ومنهم من يقوم بدور باب مدينة العلم ومنهم من يقوم بدور سعد بن أبى وقاص ومنهم من يقوم بدور مصعب بن الزبير.

الثلة المباركة لا يخلو منها زمان ولا مكان، والمسرحية فصولها لا تنتهى إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، كم عدد الممثلين فى هذه المسرحية؟

مثل العدد الذى وضعه المخرج فى الأولية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ كم كان عدد أفراد المسرحية الذين كانوا معه؟

كان عددهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً، كل واحد له دور:

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [١٦٤ الصافات]

فكل واحد له دور متقن، هذا الدور لأنهم أخلصوا وصدقوا تسمت الأدوار بأسمائهم، وإن كانت تسطع الأضواء على من يقومون بأداء أدوارهم وتنفح الأسرار قلوب من يقومون كهيئاتهم إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

فالدور الأول ثابت للحبيب ﷺ، والدور الثانى نسميه الصدّيق والدور الثالث نسميه الفاروق ... وهكذا، فالأدوار لا تنتهى من الكون إلى يوم القرار، إذا نزل الستار وانتهت مسرحية النبى المختار فى هذه الدار كان هذا بداية نهاية العالم وعلامة القيامة التى أنبأنا بها الواحد القهار ﷻ.

إذا انتهى العقد على من يؤدى دوراً فوراً يكون قد تم تجديد العقد أو عقد جديد لمن يؤدى هذا الدور من العبيد، هل توجد مسرحية تتم فى ليلة مع نقص ممثل؟!

لا، فلابد أن يكون كل الفريق جاهز وتكون جميع الأدوار موجود من يؤديها، ولابد أن يحسن الأداء، والمخرج أشرف عليه، وصادف التقرير الذى يؤديه عنه أنه صالح لأداء هذا الدور.

الصور الهادية

فمسرحية ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ تمثل على مسرح الكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها:

لا يغيب النور عن أهل اليقين ... كيف ذا والنور فى الأفق المبين
شمسنا طه الحبيب المصطفى ... لم تغب يا طالب الحق اليقين
من يقل غابت فذاك لحجبه ... كيف يخفى نور رب العالمين

هل يستطيع الكون أن تمتد فيه الحياة بدون الشمس لحظة؟! ولا أقول يوم أو ساعة بل لحظة! لو ماتت الشمس ماتت الحياة! من الذى يستطيع أن يعيش أياماً بدون نهار أو ضياء أو حرارة؟! من الذى يسوى النباتات؟! ومن الذى ينضج المزروعات؟! ومن الذى ينضج الأجسام؟!

لا تستطيع الدنيا أن تعيش بغير الشمس نفَساً أو أقل، فكيف يستطيع الأحياء أن تكون لهم حياة بدون الشمس الحقية التى تحى القلوب بنور الله جل فى علاه، لو غابت شـمس الهداية وشـمس العناية انتهت مقامات الولاية وهذا يكون بداية النهاية، نهاية الأكوان وبداية القيامة كما أنبأ ووضـح الرحمن ﷻ فى القرآن، ولذلك لابد أن تكون الشـمس المحمدية مشـرقة على القلوب التقية النقية إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

شـمس الأكوان لجميع بنى الإنسـان، لأتباع الأديان وللكافرين والمشـركين بحضـرة الرحمن وهى شـمس الكيان، لكن شـمس النبى العدنان لا تلوح إلا فى قلوب أهل الإيمان فلا يراها كافر ولا تشرق على مشرك لأنها لو أشرقت عليه خلع جلباب الكفر ولبس جلباب الإيمان فى الحال، فلا تشـرق إلا على قلوب أهل الإيمان، ولذلك لا يشعر بها ولا يستمد بضياءها ولا يحس بحرارة العقيدة وقوة الإيمان التى تمد بها إلا ذووها وأهلها.

ما الذى يجعل الإنسـان تنتابه الغيرة لأى أمر من أمور دين الله؟ ... إنهاالحمية الإيمانية والحرارة النورانية التى تسـتمد جذوتها ونارها ونورها من خير البرية ﷺ، سيدنا موسى ماذا قال؟ إنى رأيت ناراً أم "إنى آنست ناراً" ؟

﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾ [١٠ طه]

والنار هنا هى نار حرارة الإيمان ونار حرقة الحب لحضرة الرحمن:

الحب نار فى الفؤاد ونوره   يجلى الفؤاد لطالب باريه

فمسرحية ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ مستمرة، والقائمين بها هم أهل معية حضرة الرسول الموصلون بحضرته فى أى زمان ومكان، كلما انتهى عقد رجل وجاء أجله قام غيره، من الذى يقيمه؟ الخالق الأعظم والبارئ الأكرم بإشارة الحبيب المعظم ﷺ:

إن تكونوا أهلها فزتم بما   قدر الله من الخير لراغب
أو تكن للمخلصين بربهم   صرتم العالة فى سفل المواكب

فالمسرحية ستتم بكم أو بغيركم لأن هذه هى أنوار الله وأضواء رسول الله لابد أن تشرق على الوجود حتى تكون لله ﷻ الحجة البالغة.

نباهة الاقتداء

آثر الله ﷻ العرب بهذا الشرف العظيم، وآثر الله أهل مصر بهذا الكرم العميم لكن إن قصرت فغيرهم على أهبة الاستعداد ليتلقف هذا الشرف وليقوم بهذا المقام وهو مقام الوراثة للحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فى تبليغ رسالة الله ﷻ لجميع الأنام.

والذى سيقوم بالرسالة وسيؤدى الأمانة فهو عامل عند الله، والذى يعمل عند مولاه هل يكله مولاه فى أى بند من البنود إلى سواه؟ حاشا لله، لابد أن يتولاه الله ﷻ ويجعله فى بحبوحة من العيش وفى رغد من الهناء وفى خير ورخاء يعجب منه كبار الأغنياء لأن هذا ملحوظ بعناية الله ﷻ ونظرات سيد الرسل والأنبياء:

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد فى آجامها تجم
ما سامنى الدهر ضيماً إلا وجدت جواراً منه لم

كيف يكون الواحد فى جيش رسول الله المعاصر ويتخلوا عنه طرفة عين أو أقل؟! لا يكون ذلك أبداً، لكن كل الموضوع أن لك دور فى المسرحية هل ستؤديه كما تريد أنت أم كما يريد المخرج؟

هذه هى كل القضية، لو أديت الدور كما يريد المخرج فلماذا يتخلى عنك، لكنك لو أردت أن تمشى على هواك فإنك ستخل بأدوار الكل ولابد أن يتخلى عنك ويجئ بآخر يؤدى الدور كما ينبغى.

هذه هى القضية التى تحتاج من الإنسان أن يلتزم التزاماً تاماً بما كان عليه الحبيب وأصحابه العظام لأنهم هم الأئمة والهداة والقادة لنا فى هذه الحياة ومن بعدهم من السلف الصالح، من كان على هديهم فأنعم به وأكرم، فنحن نقتدى به ونهتدى بهديه، من رأينا فيه تخليطاً أو خلافاً أو إتلافاً

وإن كان مؤيد بالكرامات ويتكلم بالإشارات ونشهد فيه أنواراً واضحة جليات إلا أننا لا نأتم به ولا نقتدى به لأنه غير قدوة فى هذه الأحوال، فالقدوة هو الذى يتشبه بما كان عليه الحبيب وصحبه الأخيار رضى الله ﷺ عنهم فى كل وقت وحين.

لماذا قال الله فى كتابه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ ؟

هل هناك واحد يؤدى مسرحية بمفرده؟! لايصح أن يقوم واحد بكل الأدوار، والذى يفعل ذلك فهو المسكين الذى جعل نفسه شيخاً ويجمع حوله الناس، شيخ من هذا؟! ما الدور الذى أعطاه لك المخرج؟!

لو أنت وضعت لنفسك الدور فأنت خارج المسرحية، لكن من الذى سيحظى بالجماهير .... وسيحظى بالتأييد ..... وسيحظى بالنور من الحميد المجيد؟

الذى ألبسوه وكسوه وولوه ووجهوه وإلى جمالهم جعلوه يشهد هذا الجمال ويشهد هذا الكمال حتى يقتدى بهم فى كل وقت وحال، وهذا من المحال أن يجهل مع الجهال أو يضل مع الضلال ويجعل نفسه إماماً أو شيخاً يدعوا لنفسه لأن الكل يدعوا إلى سيد الكل وسيد الكل يدعوا لله ﷺ.

مهمة المؤمن فى الحياة

فالذى سبقت له الحسنى وكتب فى ديوان أهل السعادة وخُص بالحسنى والزيادة وأُدرج فى دفتر:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ [١٠٨ هود]

وصارت له صفحة مشرقة فى سجل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ [١٠١ الأنبياء]

وصدر له قرار العزيز الغفار إلى أن ينضم إلى صفوة الأخيار والأطهار فى نشرة: [٧٥ الحج]

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

لابد أن ينضم إلى أهل الحسنى والزيادة ويلبسوه ملابس الحسنى ويسندون له دوراً على قدم صحابى تقى نقى، يكون هذا الدور هو المهمة الجليلة التى يقوم بها فى هذا الكون رغبة فى رضاء الله ﷻ.

فالذى يقوم بالدور لابد أن يلبس ملابس صـــاحب هذا الدور حتى ينال العطاء الذى خص الله ﷻ به صـــاحب هذا الدور، لكن الإنســـان الذى يأتى إلى الدنيا ويخرج منها وليس له دور فما الفرق بينه وبين الأنعام؟!

الفرق بين المسلم وغيره أن له دور فى الدنيا حدده له رب العزة ﷻ، ليس دوره ناحية أهله من أكل وشـرب وغيره لأن هذا الدور هو موكل فيه عن الله فهذا الدور لله ﷻ، لكن دوره فى شـــرع الله وفى إعانة رســـول الله على تبليغ دعوة الله وفى الأخذ بأيدى الخلق إلى حضرة الله، فهذا هو الدور الأعظم:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ ﴾

كم عددهم؟ مفتوحة حتى تســع الكل، لو كانت الأُمة ألف مليون، فيكون عددهم ألف مليون يبلغون رسالات الله، أصبحت ألف مليار، فيكون عددهم ألف مليار يبلغون رســالات الله، لكن مع تبليغ رســالات الله هناك شـرطى كما قال تعالى فى الآية : [٣٩ الأحزاب]:

﴿ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾

فالذى يؤدى دور من أجل الخلق أو من أجل مصلحة أو من أجل منفعة أو من أجل رئاسة زائلة أو من أجل دنيا فانية، هل له نصيب فى هذه الآية؟ لا لأنه يخشى الخلق ولا يخشى الله فهذا ليس له نصيب فى أهل العناية، أهل العناية شرط الله لهم فى هذه الآية:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾

لا يرهبون ولا يخافون ولا يخشون من الخلق لأنهم فى حصانة الحق هؤلاء هم أصحاب هذا الدور،فلابد للمؤمن أن يكون له دور فى هذا الأمر، كثير من الناس فى هذا الزمان ظن أن دوره أن يقوم بالعبادات، وأن يزين نفسه ظاهراً بما كان عليه سيد السادات، دوره فى العمامة والعدبة واللحية والسواك والجلباب والصلاة والصيام، دورك هذا لنفسك:

﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفۡسِهِۦ ﴾ [٤٦ فصلت]

لكن ما الذى أنت عملته لله ولأُمة حبيب الله ومصـــطفاه؟! فرب العزة يقول لسيدنا موسى:

{يا موسى هل عملت لى عملاً قط؟ قال: نعم يارب صليت لك وصمت لك وتصدقت لك، قال: يا موسى أما الصلاة فلك صلة وأما الصيام فلك ضياء وأما الصدقة فلك برهان، ولكن هل عملت عملاً لى؟ قال: يارب وما هو العمل الذى أعمله لك؟ قال:

هل واليت لى ولياً أو عاديت فىَّ عدواً } [٥٧]

هل واليت أحداً من المسلمين أو المؤمنين! أو أصلحت المعوج منهم أوقربت البعيد منهم!! أونبهت الغافل منهم!! هل أيقظت الساهى منهم وأخذت بيد المسرف على نفسه منهم إلى الطريق المستقيم القويم!!؟؟

هذا هو دور المؤمن نحو المسلمين ودور نحو الآخرين تدعوهم إلى دين رب العالمين.

دور مع المسلمين لابد منه بالرفق والرحمة والحكمة والموعظة الحسنة واللين، وإياك والشدة فكل وسائل التربية الحديثة وصلت فى النهاية إلى النهج الذى اصطفاه الله وزكى عليه حبيبه ومصطفاه:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [١٥٩ آل عمران]

٥٧ الدرر المنتثرة وإحياء علوم الدين وروح البيان.

فذكروا أن الشــدة والقســوة والضــرب والطرد وغير ذلك من هذه الأمور تنفر وتســبب الأمراض النفســية والعصــبية، فلا يوجد أرقى ولا أتقى ولا أعلى من منهج الحضرة المحمدية، حتى الكافرين كان ﷺ يدعوهم باللين حتى قال له الله:

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [٣ الشعراء]

فالرفق واللين والرحمة بالمســلمين وغير المســلمين هى المنهج الســديد الذى جعله الله ﷻ ســلاح الأبرار والمتقين لإصــلاح أحوال المســلمين ولجذب الكافرين إلى هذا الدين، لكن الشدة فى الحرب لمن أعلن الحرب على المسلمين.

فلابد أن يكون لكل واحد دور فى هذا الدين! ولذلك إياك أن تقتصر وأنت تنظر إلى نفســك وتظن أنك بلغت الغاية ووصــلت إلى النهاية لأنك قائم بالأذكار والعبادات والصيام وتلاوة القران، أنت على ما يرام فى هذه الحالة لنفسك!!!!

لكن الدور الأعظم هو ما الذى فعلته لربك؟ ما النصـرة التى نصـرتها لنبيك؟ ما دورك؟

لا تأخذ دور الشــياطين ..... فتفرق بين المســلمين ... وتمشــى بالغيبة والنميمة بين المتقين ... وتجلس فى المجالس التى يبغضها رب العالمين فى القيل والقال وكثرة السؤال والسب والشتم واللعن...!!!، فأنت قد بعدت عن الخط بعد المشرقين.

فلابد أولاً أن تصــلح ســلوكياتك وتنظم أخلاقك وطباعك وتجعلها صــورة من طباع وأخلاق الحبيب ثم تبدأ تمشى فى الأرض على نهج الحبيب طبيب يداوى.

أثر الرفق واللين

كل مسلم فى الدنيا دوره طبيب يداوى العصاة والمذنبين حتى يردهم إلى ساحة فضـل رب العالمين ﷻ، ولن يتم هذا إلا باللين، ولذلك عندما تتصـفح صـفحات تاريخ تجد أن الذى كان يؤدى الدور مع العصـــاة والمذنبين والجبارين هم الصـــالحين لأنهم كـانوا يتعـاملون معهم بـالرفق واللين إلى أن يلينوهم ويـدخلوهم على طريق رب العالمين ﷻ.

هل يستطيع أحد أن يشكل الحديد بدون أن يلينه فى الفرن الحرارى ويصهره؟!

فكذلك المبعدين والأشـــرار والفجار والكفار فهم كالحديد ومن أجل أن تهديهم وتشكلهم بالدين الجديد فلابد أن تأخذهم بالرفق واللين إلى أن تصـهر طباعهم وتخفف غلواءهم وتشكلهم على ما يحبه رب العالمين وعلى ما جاء به سيد الأولين والآخرين ﷺ.

إياك أن تقول أن هذه ليست مسئوليتى ولكن هذه مسئولية العلماء والوعاظ، كل مسلم مسئول:

{كل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام فإذا تهاون إخوانك فاشدد لئلا يؤتَى الإسلام من قِبَلك} ٥٨

لابد أن يكون لى كل يوم محاولات فى دين الله، فأحاول مع فلان حتى أقربه للحق، ومع فلان حتى أجعله يتوب عن شــــرب الخمر، ومع فلان حتى أجعله يتوب عن معاكســـة النســـاء، ومع المجلس الفلانى حتى أجعلهم يتوبون عن القيل والقال والغيبة والنميمة، دعك من المحاولات فى قيام الليل، فالله لو يحتاج إلى العبادة فالسموات مليئة:

﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [٦ التحريم]

لكن وظيفتنا:

﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾

٥٨ السنة لمحمد بن ناصر المروزى عن يزيد بن مرثد.

إذا نفذت هذا الشرط:

﴿ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [١١٠ آل عمران]

انظر إلى ترتيب كلام الله، أى لا تصـــل إلى حقيقة الإيمان إلا بعد أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وكيف تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

{ابْدَأْ بِنَفْسِك ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ ثم الأقرب فالأقرب} [59]

مكانتك عند الله وقربك يوم القيامة عند الله ودرجتك فى الجنة عند الله مقرونة بما بذلته نحو خلق الله بجذبهم وجرهم وانتشالهم إلى حضرة الله جل فى علاه.

- فالذى يصلى فى الليلة ألف ركعة أو يصوم الدهر فهؤلاء اسمهم عُبّاد!
- والذى يترك الدنيا ويعيش فى الصحراء ولا يأكلون إلا قليلاً فهؤلاء اسمهم زهّاد!
- وليس هذا طريقنا ولا النبى أمرنا بذلك، ولذلك لما رأى رجل عين ماء فى الجبل وتحتها خضرة فقال الرجل:

٥٩ إعانة الطالبين وتحفة المحتاج في شرح المنهاج.

يا رسـول الله ائذن لى أن أعيش فى هذا المكان أتوضـأ من هذه العين وآكل من هذه الأشجار وأتعبد لله فقال له:

{ لَمُقَامُ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ مُقَامِهِ فِي بَيْتِهِ سِتينَ عَامَاً } [٦٠]

وقال فى الحديث الجامع:

{ لا رهبانية فى الإسلام } [٦١]

- لكن وظيفتنـا أن نكون وسـط النـاس فى الأسـواق وعلى المقـاهى وفى المصايف نأخذ المسلمين بالرفق واللين إلى الطريق الصواب الموصل إلى رضوان رب العالمين ﷻ، وعلى هذا النهج كان الصالحون أجمعون.

ولذلك يروى أن أخانا الشيـخ عبد السـلام الغريب رضـوان الله ﷻ عليه أرسـله الإمام أبوالعزائم إلى بورسعيد ليقضـى مع الإخوان شهر رمضـان، فلما ذهب وجدهم قد أعدوا له قائمة بثلاثين مسـجداً! أى فى كل يوم مسـجد، فقال لهم: أنا أريد قائمة بثلاثين مقهى ويأتى معى واحدٌ منكم فقط.

٦٠ رواه البزار عن أبي هريرة.
٦١ كشف الخفا وفي لفظ حديث سعد بن أبي وقاص عند البيهقي:{أن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة}.

فكان يذهب كل يوم بعد صلاة العشاء والتراويح إلى مقهى ويجلس ويتحدث مع زميله بصـــوت مرتفع فيســـمعه من يجاوره فيشـــدهم الحديث فيتركون ما بأيديهم ويســتمعون للحديث!! ثم الذى يجاورهم وهكذا حتى يجتمع كل من فى القهوة حوله!! فيقف على شئ مرتفع ويوضح لهم الدين بطريقة سلسة مبسطة على قدرهم ... ويظل هكذا حتى السحور!.. فيأخذهم من القهوة إلى المسجد.

وقد كان الصـــالحون يذهبون إلى الطرق المليئة بقطاع الطريق ويظلوا وراءهم حتى يتوبوهم ويجعلوهم ينقلبوا من قطاع طريق إلى أناس يدلون الخلق على طريق الله جل وعلا.

هذه هى مهمتنا فى هذه الحياة التى أوجدنا من أجلها الله، وضـمن لنا إذا قمنا بها السعادة التامة الكاملة فى الدنيا والنعيم الأعظم الأكرم يوم لقاء الله جل فى علاه.

- أصــحاب رســول الله قاموا بهذه المهمة: ... فكانت النتيجة بعد أن كانوا عبيداً أصـــبحوا ســـادة على أكابر العبيد! وبعد أن كانوا حفاة عراة أصـــبحوا أمراء وأغنياء يتحكمون فى مصائر العباد والبلاد فى هذه الحياة.

لماذا؟

لأنهم قاموا بأداء هذه الرسالة، وهذا هو نفس الأمر إلى أن يرث الله ﷺ الأرض ومن عليها.

وانظر إلى الصالحين أجمعين فى بدايتهم تجدهم فقراء ومساكين، ولكنهم لأنهم أخلصوا فى هذا الأمر ومشوا على نهج الصحابة السابقين تجد فى النهاية أن الأكابر والعظماء والملوك ينشدون ودهم وربما يرفض الالحون أن يقابلونهم أحياناً، ويسعى الكل لزيارتهم لأن هدفهم رضــاء الله والقيام بالمهمة التى كان عليها ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾.

فقم داعياً لله بالله تفز برضاء الله وتسعد مع حبيب الله ومصطفاه، ولا تقم داعياً لله طلباً للخلق ولا للشهرة ولا للسمعة ولا للمنفعة العاجلة ولا للدنيا الزائلة بل ضع فى أذن قلبك دائماً قول الإمام أبوالعزائم ﷺ:

فإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم	قاموا بحول منه لا بفخار
يدعون والرهبوت ملء قلوبهم	بالهدى هدى المصطفى المختار
وإذا رأيت الخلق مقبلة فلا	تركن ركون مقرب من نار
فالخلق فتنة من أردت صدوده	وشهود أهل البعد فى الأدوار

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نسمات الذكرى!

همسات للصادقين [٦٢]

التجهز للحضور بين يدى رجال الله

فضائل مجالس الصالحين

مرض الاعجاب بالنفس

البعد عن مجالس الغيبة والنميمة

[٦٢] المعادى – بعد الجمعة، ١٣ من رجب ١٤٣٠ هـ، ١٠ من يوليو ٢٠٠٩م

نسمات الذكرى!

همسات للصادقين

التجهز للحضور بين يدى رجال الله

من أراد الحضـــور بين يدى رجال الله فيجب عليه قبل الدخول عليهم أن يجهز قلبه وليس بدنه، لأن تجهيز البدن بالغسل والزى الحسن والتطيب ولكن ليس هذا هو الأســـاس .... فالأســـاس الأول للدخول على الصـــالحين: هو أن يزيل من صــــدره الوسـاوس والهواجس وينزع من قلبه الغل والحقد والأنانية وحب الرياسـة، حتى أنهم اشـترطوا حتى ينال الإنســان العطايا فى مجالس أهل الولاية أن يدخل ونفســه ليسـت معه.

فالذى يدخل ونفســـه معه ســـيحرم من عطايا الله التى ينزلها على مجالس الصالحين ﵃ وأرضاهم، لأن الذى يدخل ونفسه معه فإنه على الأقل سيكون معه ظن الســوء فى إخوانه، فيجب على من أراد الدخول على الصـــالحين قبل ســفره إليهم أن يسافر من نفسه، الإمام أبوالعزائم ﵁ عندما أراد أن يحج إلى بيت الله الحرام قال:

منى أسافر لا من كونى الدانى أفردت ربى لا حور وولدان
وجهت وجهى لله العظيم ولى شوق عظيم إلى فضل ورضوان

ولذلك لما دخل هناك قال:

قلبى يرى فى مقام خليل حضرته أنوار مقتدر بر وديان

من الذى سيرى؟

العين أم عين البصيرة؟ القلب هو الذى سيرى، لكن الذى نفسه معه سيتطلع للناس وعنده استعداد للشك والوساوس والإلباس، فهذا لن ينتفع بمجالس الصالحين.

الشيخ إبراهيم الشلقامى ﷺ قطب وقته فى مركز مغاغة بالمنيا كان من المربين، من تلامذته المجيدين كان الشيخ أبو الليل وهو قطب مدينة بنى مزار حالياً، وكان الشيخ يوزع اللحم بنفسه ويعطى تلميذه الشيخ أبو الليل عظمة واستمر على ذلك سنين، وفى ذات مرة أعطاه لحمة فقال له: ليس هذا نصيبى، فقال له: أنت نجحت، لأنه جاء ونفسه ليست معه.

إذاً قبل أن يذهب الإنسان إلى رحاب الصالحين:

يترك نفسه ويأتى بروحه! هل هذا مفهوم؟

والذى سيأتى بروحه سيرى نفسه أقل الموجودين شأناً، ويرى نفسه أنه لا ينفع ولا يرفع وليس معه شـــئ ويأتى وهو يريد أن يخدم طمعاً فى أن يكرموه أو يرفعوه، لكن الذى يأتى وهو جالس متعزز ويريد من يكرمه ويعظمه فمال هذا ومجالس الصالحين، فمجالس الصادقين:

﴿ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [١١٩ التوبة].

فضائل مجالس الصالحين

ميزة هذه المجالس أن الإنســـان يقف فيها وقفة مع النفس حتى يصــــحح حاله، ولذلك لابد أن يخرج من المجلس فى كل مرة بشـــئ فى عيوب نفســـه ويصـــححها، والحقيقة وهذا ليس للتباهى أنى كنت أتعلم حتى من إخوانى الصغار لأن كل أخ خصه الله بخصوصية لا توجد عند البقية.

فلا يوجد أحد فينا جمع كل الخصوصيات وإذا اعتقد بذلك أحد فينا فسنقول له أنت أغواك إبليس، وعندما نجلس سويا فعلى كل واحد أن يستفيد من كل خصوصيات إخوانه فيتعلم من هذا خصـــوصـــية المحبة ومن هذا خصـــوصـــية الزهد ومن هذا خصوصية الورع ومن هذا خصوصية الصدق

ومن هذا خصــوصــية الإخلاص ومن هذا خصــوصــية الصــفاء ومن هذا خصوصية النقاء ومن هذا خصوصية التوكل على الله ﷻ.

فكل واحد عنده خصوصية خصه بها الله من عطاء رسول الله ﷺ، لأن عطاء رسول الله يتوزع علينا كلنا، فكل واحد فينا له نصيب فى التركة وليس لواحد فقط أو اثنين، وكل واحد نصــيبه يختلف عن الآخر، فالذى أخذ تواضــعه والذى أخذ حياءه والذى أخذ لينه والذى أخذ شــفقته والذى أخذ رحمته والذى أخذ مودته والذى أخذ إكرامه والذى أخذ إيثاره والذى أخذ توجهه إلى الله والذى أخذ قيام الليل والذى أخذ صيام يومى الإثنين والخميس والذى أخذ تلاوة القرآن.

فكل واحد أخذ شــئ، حتى أصــحابه ولا ندرى من منهم أخذ القدر الأعظم من تركة رسول الله فلا يجب علينا أن نحكم فى ذلك لأن الصالحين قالوا: الخصوصية لا تقتضــى الأفضــلية، فدائماً يظهر الذى يتكلم وعنده بيان وليس معنى ذلك أنه الأفضــل فرُبَّ صــامت أفضـل من ناطق، ورُبَّ لسـان بيان ومحروم من العيان، ورُبَّ صـامت من أهل العيان، فمَنِ الأفضــل إذن؟ البيان خصــوصــية والخصــوصــية لا تقتضــى الأفضلية.

ذهبنا يوماً فى بلدة تســمى البرلس لزيارة إخواننا هناك، واســتضــافنا أحدهم وكان رجل أمى لا يقرأ ولا يكتب، فقلت لإخوانى نحن جئنا إلى هنا لكى نتعلم من هذا الرجل درس عملى فى الحب، فكان الرجل متحيراً فى ماذا يفعل من أجلنا، ليس لمصلحة بيننا ولكن من أجل الحب لأن الله أفاض عليه من الحب، فيجب على الأخ أن يتعلم من إخوانه هذه الصــفات وينال منهم الهبات والوراثات التى خصــهم بها ســيد السادات ﷺ.

مرض الاعجاب بالنفس

والمشكلة والمعضلة إذا حدَّث أحدهم نفسه بأن الفضيلة التى خُص بها لا يوجد قبلها ولا بعدها وأن الناس يجب أن يقفوا عندها ويصبحوا مثله!

فهذه هى المصيبة الكبرى التى وقع فيها أكثر إخواننا أهل الجماعات الإسلامية، فظنوا أنهم على الصـــواب وغيرهم على الباطل وأن يكون الكل مثلهم، لماذا؟! .... ماذا أخذتم من رسول الله؟ الظاهر وليس معكم شئ من الباطن!، فإذا حدثهم أحد بشئ من الأمور الباطنية ينكرونها بحجة أنهم أولى بها، فهم محرومون من العطاء الباطنى ويريدون من الأمُة أن تقف عند العطاء الذى أخذوه من ســيد الأُمة وهو العطاء الظاهرى!!!!!

أين الخشوع الذى معكم؟! أين الحضور بين يدى الله؟! أين الرؤيات الصادقة؟! أين الفراسة النورانية؟! أين الكشف الذى رآه عمر وغيره؟!

لا يوجد عندهم هذا الكلام، فهم يلغون هذا الكلام والذى هم فيه هو النهاية وهذا هو الخطأ الذى وقعوا فيه، لكن المؤمن الصـــادق هو الذى يعلم أن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق، أى أن لكل واحد منا فى كل نفَس طريق مفتوح إلى حضـــرة الله يوصله إلى رضوان الله وفضل الله وكرم الله وعطاء الله جل فى علاه.

إذاً قبل الدخول على الصـــالحين يجب على الأخ أن يخلع نفســه ويتركها خلفه، وإذا اســتطاع أن يدفنها فيا هناه: (ادفن نفســك فى أرض الخمول تشــرق عليك أنوار الوصـــول) فإذا دخل عليهم فلا يكون معه إلا الروح حتى ينال الفتوح ، لكن طالما النفس موجودة فتكون الغيوب والعطايا مفقودة غير موجودة.

البعد عن مجالس الغيبة والنميمة

من يأتى إلى هنا يُنظر إليه على أنه يصـــحب الصـــالحين، فحركاته وســكناته وأقواله مراقبة من الآخرين، فأول شـــئ نحرص عليه حتى نكرم ولا نحرم هو تجنب زلات اللسان، والبعد عن مجالس الغيبة والنميمة التى تعقد فى كل مكان، قال ﷺ:

{ إنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قيلَ وقالَ..}[٦٣]

٦٣ صحيح ابن حبان عن أبي هريرة.

هل نسكت ولا نتكلم؟ لا بل نتكلم ولكن فى الأحاديث المفيدة مثل سِير الصالحين فيقرأ أحدنا عن سيدنا الحسين وآخر عن السيدة زينب وآخر يحكى لنا قصة عن السيد البدوى أو سيدنا إبراهيم الدسوقى فيكون المجلس كله معطر بذكر الصالحين، فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.

لكن المصيبة أن يكون الواحد منتسب للصالحين ويريد فى هذا المجلس أن يقرأ نشرة الأخبار والحوادث الخاصة بالآخرين، هذه المجالس قال لنا فيها الله:

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٦٨ الأنعام]

فالذين يجلسون فى هذه المجالس سماهم الله ظالمين، ظالمين لأنفسهم، فكيف أجالس الصالحين وأنا مع الظالمين؟ لا يجوز.

فيجب أولاً أن أتطهر من مثل هذه المجالس ولا أجالس إلا من أؤانس وأجد فى جلوسه قرباً من القريب وحباً وعلماً يجعل القلب يخشى ويراقب الله ﷻ فى الحضور وفى المغيب، نجلس مع من يا رسول الله؟ قال:

{جَالِس مَنْ إذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ أَعَانَكَ، وَإذَا نَسِيتَ ذَكَّرَكَ}[٦٤]

٦٤ ابن أبي الدنيا عن الحسن فى جامع المسانيد والمراسيل.

الذى سيقطع العمر فى طاعة الله، ويصلى فى الليلة ألف ركعة ويصوم الدهر كله ويقرأ القرآن مرة بالليل ومرة بالنهار، يوم القيامة من الممكن أن يبيع هذه الطاعة ثمناً لجلسة باطل لعبد من عباد الله، حيث يقول له الله يوم القيامة: لن تدخل الجنة حتى ترضى خصمائك، ولن يرضى الخصماء إلا بعد أن يدفع، وسيدفع هنا من رصيد حسناته، لو أنا لا أؤدى إلا الفرائض المفترضة وبعيد عن هذه المجالس فأنا من الأغنياء والوجهاء يوم اللقاء.

فالمؤمن الحريص هو الذى يمسك لسانه إلا كما قال الله:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾

أى أن معظم هذه المجالس لا خير فيها: [١١٤ النساء]

﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾.

يقول قائل أنا أجلس فى هذه المجالس ولا أتكلم، قال ﷺ:

{السامع والمغتاب شريكان فى الإثم} [٦٥]

٦٥ ذكره الغزالي في الإحياء.

لا فرق بين الإثنين:

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٦٨ الأنعام]

لماذا؟ حتى تكون صفحة مديونيته خالية يوم القيامة، ستضحك عليك نفسك وتقول لك إن الله سيتحمل عنك، لا، الله يتحمل عنك إذا أخطأت قبل أن تعرف الصالحين وحاولت أن ترضى من أخطأت فى حقهم فرفضوا، فلو تبت ولم أرجع إلى مثل ذلك فإن الله يضمن أن يرضيهم عنى.

لكن إذا كنت مع الصالحين فى مجالسهم وهى الجنة وبعدها أجلس مع البطالين وهى جهنم، فكيف أقبلها على نفسى وأسعد بها، يقول قائل إنها صلة أرحام وأقارب، الأقارب إما أن يقربونى أو هم عقارب، أجلس معهم ونتكلم إما فى حكاية عن رسول الله أو حكاية عن صحابى من صحابة رسول الله أو حكاية عن رجل من الصالحين من عباد الله أو نتكلم فى آية من كتاب الله أو فى حديث عن رسول الله ﷺ.

سر المصائب بين المسلمين فى هذا الزمان هى هذه المجالس، مجالس الغيبة والنميمة والتى فيها تحسس وتجسس وسوء ظن وقذف للمحصنات الغافلات وللمحصنين الغافلين.

ذهب رجل لأحد الصـــالحين وحدثه عن أخ له، فقال له: هل أنت اليوم حاربت الروم؟ قال: لا، قال: هل أنت اليوم حاربت الفرس؟ قال: لا، قال: هل أنت اليوم حاربت اليهود؟ قال: لا، فقال له: يا أخى يسـلم منك الروم والفرس واليهود ولا يسـلم منك أخوك المؤمن.

ولذلك مشكلة الإسلام اليوم هو أن المسلمين يخوضون فى بعضهم، هل هذه هى تعاليم الإسلام؟ أبداً، لو مشينا على تعاليم الإسلام فإن كل اللئام سترجع وستنتهى مشاكلنا.

إذاً الذى يصحب الصالح لا بد أن يمشى على نهج الصالحين، ولذلك فالذى يجالسنا لو جلس معنا هنا خمسين سَنَة ولا يستطيع أن يترك مجالس الغيبة والنميمة فنقول له إنك لن تقرب من الله ولا سِنَة، فإذا أردت أن تتقرب من الله وتصبح من عباد الله الصالحين فلابد أولاً أن تكف لسانك.

لسانك لا تذكر به عورة امرئ   فكلك عورات وللناس ألسن

لا تكن فضولياً فى أخبار الناس ولكن كن فضولى فى أخبار الأخيار وفى أحوال الصالحين والأبرار، ولا تسأل عن الدنيا الدنية ولكن اسأل عن زينة الآخرة البهية.

فصـن لسـانك طوال حياتك عن مجالس الغيبة والنميمة، ولا تتسـامح مع نفسـك فى مجلس حتى لا تنزلق فى مجلس آخر ويصبح مرضاً فى القلب:

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [١٠البقرة]

وستحرم من أحوال الصالحين وأحوال المتقين، ولكن أعيش فى رحاب حكايات الصالحين والمتقين وأخبار السلف الصالح الأولين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نسمات الصالحين

رجالات الله فى الأرض[٦٦]

نبدأ بتلخيص مبادىء أهل التخصيص

سيدنا زين العابدين رضي الله عنه

سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه

الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى من الأزهر

الشيخ محمد البهى شيخ الأزهر

ونختم بسرِّ الصدق

[٦٦] المعادى – الخميس، ١٩ من شوال ١٤٣٠ هـ، ٨ من أكتوبر ٢٠٠٩م

نسمات الصالحين

رجالات الله فى الأرض

الحمد لله الذى أكرمنا وجعلنا نتأسى بحبيبه ومصطفاه ونستلهم منه الهدى والرشاد ونمشى على هدى أصحابه المباركين فى كل أنفاسنا فى هذه الحياة، والصلاة والسلام على الحبيب الأكرم والسيد السند الأعظم سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من تمسك بهديه وسار على سبيله إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يارب العالمين.

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين: ... لا يخلو زمان ولا مكان من إظهار رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يجعلهم الله ﷻ صورة حية متحركة ناطقة بقول الله:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ الفتح]

يعشقون الحبيب ﷺ عشقاً يملك عليهم أفئدتهم وألبابهم حتى يصل هذا العشق إلى أن يكون ﷺ أعز عليهم وأغلى عندهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل شئ هو لهم فى هذه الحياة، وفيهم يقول ﷺ فى حديثه :

{لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَعِتْرَتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ عِتْرَتِهِ، وَذَاتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِهِ}[٦٧]

هؤلاء القوم انفردوا بالعلم أولاً والعمل على هدى الحبيب وأصـــحابه النجباء ثانياً، ســماهم الناس مرة بالصــوفية ومرة بالصـــالحين ومرة بالصـــادقين ومرة بأهل الطريق وكلها مســـميات تدل على قوم علموا ثم عملوا، الفارق الجوهرى بينهم وبين غيرهم من رجالات الأمة هو هذا الأمر، علم ثم عمل، وفى العمل اقتدوا بالحبيب الأعظم ﷺ وبصـــحابته البررة الكرام، وبدئهم هو الحب الذى وصـــفناه بالمعنى الذى ذكرناه:

الحب مبدأنا والوجه قبلتنا والمصـــطفى قـدوتى فـاعلم

نبدأ بتلخيص مبادىء أهل التخصيص

تلخيص لمبادئ أهل التخصيص، بدايتهم الحب، وغايتهم وجه الله، وسبيلهم إلى ذلك هو الإقتداء بحبيب الله ومصـــطفاه، يا نعم البداية ويا هناءة النهاية ويا عظمة الرعاية لهذا المنهج الذى وصلوا إليه لبلوغ هذه الغاية.

٦٧ (طب هب) عن عبد الرَّحمن بن أَبي ليلى عن أَبِيهِ في جامع المسانيد والمراسيل.

هؤلاء القوم تســتطيع أن تقول هم النبلاء والوجهاء والعظماء فى كل زمان ومكان، هم النبلاء لأن غايتهم نبيلة لا الدنيا أرادوا ولا الجنة والآخرة قصــدوا وإنما قصدهم وهمهم هو وجه الله ﷻ:

وجنــة الخلـد لو ظهرت بطلعتهـا لفـارقـت حســنهـا بـالزهـد همتهم
لا كفـء لله يـحـجبـهم ويـمـنـعـهم ووجـه الله تـقصـــده ســـريـرتـهـم

﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ [٢٨ الكهف]

وهم الوجهـاء لأن الله ﷻ جعلهم عظمـاء الـدنيـا وعظمـاء الآخرة، تعـالَوْ على عظمـاء الـدنيـا فلم يميلوا إليهم ولم يركنوا نحوهم، بـل إن الملوك والأمراء هم الـذين كانوا ولا يزالوا يســعون نحوهم وهم يزهدون فيما فيه هؤلاء بل يُعرِضــون بالكلية على ما يتفضلون عليهم ويريدون أن يصلوهم به من هبات أو عطاء.

وما التبس الأمر على المعاصرين وغيرهم إلا لظهور ثلل تدَّعى التمسك بهديهم والمشــى على منهاجهم لكن الحال غير حال الســابقين والصــادقين من المعاصــرين، ولذلك يقول قائلهم:

أمــا الـخـيــام فـإنـهــا كـخـيــامـهـم وأرى نســـاء الحى غير نســائها

أهل الطريق وصـــل بهم الأمر إلى أن الناس كانوا يحلفون بهم، فمن أراد أن يحلف يميناً مغلظة كان يقول: (وحياة أهل الطريق)،

وكانوا يسـألون الله ﷻ متوسلين بأهل الطريق فيحقق الله رجائهم ويجيب الله ﷻ دعائهم لأنهم عظموا الله فعظمهم الله جل فى علاه وأحبوا حبيب الله ومصـــطفاه حباً حقيقياً من قلوبهم فرفع الله شأنهم ومكانتهم فى الدنيا ويوم لقاءه ﷻ.

سيدنا زين العابدين﵁

كان عظماء الخلفاء يتوجهون إلى هؤلاء، لم يكن الرجل من أهل الطريق هو الذى يطرق دار الخليفة أو باب الأمير وإنما كان الخليفة والأمير والوزير هو الذى يسعى جاهداً ويود أن يحظى بلقاء من هذا الرجل الصالح.

ذهب هشـــام بن عبد الملك الخليفة الأموى ليحج بيت الله ﷻ الحرام وأراد أن يطوف بالبيت فلم يستطع أن يصـل للحجر من شـدة الزحام، فجئ بالجند ليوسـعوا له الطريق وينحوا الخلق عن الحجر حتى يستلمه خليفة الدولة.

وبعد أن انتهى من المطاف إذا برجل يدخل المطاف فيقبل عليه الخلق، منهم من يريد أن يحظى بتقبيل يده فإن لم يســتطع يمســح على ثيابه، ووســعوا له الطريق وأخلوا له المطاف وتركوه بمفرده يقبل الحجر ويتمســـح به فعجب الجند الذين حول هشــام من ذلك، وســأل رجل منهم الخليفة: من هذا؟ والخليفة يعرفه ولكنه لا يحب أن يرى أهل الشـــام رجلاً فوقه وهو خليفة للمســـلمين فقال: لا أعرفه، وكان فى ركاب الخليفة الفرذق الشاعر الأموى المشهور فأنشد قصيدة على الفور:

هـذا الـذى تعرف البطحـاء وطـأتـه والـبـيـت يـعـرفـه والـحـل والـحـرم

هذا ابن بنت رسول الله التقى النقى، وكان هذا الرجل هو سيدنا زين العابدين بن سيدنا الحسين ﷺ وأرضاه.

سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ

وما زال هشام فى حجته رأى حلقات العلم فى بيت الله الحرام فنظر إليها ووجد حلقة منها غاصة ومزدحمة بالحضور، يستمعون إلى رجل عليه سيما الصالحين، فجلس فى الحلقة يستمع إلى الدرس، وبعد انتهاء الرجل من درسه تقدم إليه وعرفه بنفسه وقال له: أنا هشام بن عبد الملك خليفة المسلمين فسل حاجتك؟

وكان هذا الرجل هو سيدنا سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ أجمعين، فأجاب الخليفة قائلاً: أستحى منه أن أسأل غيره فى بيته، فمكث الخليفة ما شاء الله مراقباً له حتى وجده خارجاً من باب بيت الله الحرام فخرج وراءه وأسرع ثم توجه نحوه وقال له: الآن خرجنا من بيت الله فسل حاجتك؟

فقال له: حاجةً من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ قال: من حوائج الدنيا فأنا لا أستطيع أن ألبى لنفسى فضلاً عن غيرى حوائج الآخرة، قال: يا أخى إذا كنت لا أطلب الدنيا ممن يملكها فكيف أطلبها ممن لا يملكها؟!

عزة التقى ووقار الزاهدين وأنفة المتواضعين لرب العالمين التى جعلت الملوك صـــغاراً أمام أعينهم، لا يأبهون بذى ســلطان لأن الله ﷻ حلَّ فى قلوبهم فهو وحده عندهم ذو السـلطان والجبروت، ولا ينحنون أمام أمير أو غنى لأن الله ﷻ جعل حب الحبيب أكبر همهم ومبلغ علمهم فلا يشتغلون عنه بغيره طرفة عين ولا أقل.

قد تقول هذا فى العصور الفاضلة والأيام الكريمة الناصعة الصالحة، أقول لك: لا يا أخى، فكما قلت فى بداية حديثى:

جعل الله ﷻ رجالاً على وزن هؤلاء وعلى أوصـــافهم وعلى منهاجهم فى كل زمان ومكان حجة لله ﷻ على خلقه وفيهم يقول الإمام علىّ ﷺ وكرم الله وجهه: (اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة، إما ظاهراً مشـهوراً أو باطناً مسـتوراً لئلا تخلوا الأرض من حجج الله ﷻ وبيناته).

سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه

يحكى الإمام الشـعرانى ﷺ شـيئاً مما رآه - وقد كان فى عصـر من العصـور المظلمة فى تاريخنا الإسلامى فى عصر أواخر الدولة المملوكية –فيقول ﷺ: رأيـت بعينى رأسى سيدى محمد بن عنان ﷺ وقد قصده بعض الخلق فى شفاعة لدى السلطان الغورى، فذهب إليه من أجل هؤلاء، فقام السلطان واحتضـنه وقبَّل يده وقدميه وباطن قدميه وقال له متذللاً:

يا سيدى أعززتنا بزيارتك لنا فى هذا النهار، إن مملكتى وكل ما فيها لا يساوى خطوة واحدة من خطواتك التى مشيت بها إلينا اليوم.

حتى فى هذه العصـــور المظلمة!!- لله رجال يظهر فيهم قول الواحد المتعال وقول ظاهر على مدى الزمان لأهل الفهم والعيان:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨ المنافقون]

نفر من المؤمنين فى كل زمان ومكان يظهر فيهم عز الرحمن فى هؤلاء القوم الذين فى نظر الغير ضـعفاء ومستضـعفين أمام ذوى الأبهة والعزة والسـلطان، حتى فى عصرنا.

الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى من الأزهر

ففى بداية القرن العشـرين دخل خديوى مصـر عباس الثانى الأزهر الشـريف عندما كان الأزهر موضـع رجال الله ومكان الصـالحين من عباد الله، كان شـيوخه الصلحاء الأتقياء العرفاء وقبل ذلك علماء وفقهاء.

يحكى الشيخ صالح الجعفرى ﷺ بدايته عندما جاء من دنقلة بالسودان إلى مصر ليدرس فى الأزهر الشريف ورأى النساء بعضهن متبرجات ومتزينات فلم يألف هذا الوضع ولم يرتح إلى هذه المناظر ففكر فى الرجوع إلى بلدته، قال: دخلت إلى مسجد سيدنا الحسين فوجدت الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى ﷺ - من علماء الأزهر – جالساً فى حلقته، فلما وصلت عنده قال لى مبادهاً: هل الأولياء لا يكونون أولياء إلا إذا سكنوا فى أعالى الجبال وفى الغابات بعيداً عن الناس؟!

الولى لا يكون ولياً إلا إذا سكن بين العقارب وحمى نفسه وحماه ربه من لدغ هذه العقارب، قال ووجه إلىَّ هذا الخطاب ..... فعلمت أنه يقصدنى واطلع على ما فى نفسى،!!

وكانوا كلهم على هذه الشاكلة وعلى هذا المنهاج:

﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [١٠٨ يوسف]

ذهب إليه مرة أخرى، وقال جلست بجوار كرسيه وقلت فى نفسى هل الشيخ يرى النبى فى اليقظة وفى المنام؟ وإذا به يلتفت إلىَّ ويقول:

نعم يا ولد نعم يا ولد نعم يا ولد – هو خاطر فى قلبه لم يتحدث به لسان - آخر غيره قال: رأيت النبى فى المنام فحدثنى ثم قال لى: يا ولد، قال: ثم ذهبت فى اليوم التالى إلى درس النحو فى الأزهر وجلست فى الحلقة،

وانطلق الشـــيخ فى الدرس، وقلت فى نفســـى: يقول النبى لى يا ولد فهل أنا صغير؟! فإذا بالشيخ يتوجه إلىَّ ويقول: قال لك يا ولد على لغة العرب.

كان على هذه الشـاكلة علماء الأزهر، بصـر وبصـيرة، صـفاء فى القلب وفى الســريرة، علم ظاهر وعلم إلهامى علمه لهم العلى وعلم خاص ذاتى أســر به إليهم حضرة النبى، فكانوا كلهم على هذه الشاكلة.

الشيخ محمد البهى شيخ الأزهر

فدخل الخديوى عباس الأزهر والطلاب مشغولون بالحلقات حول مدرسيهم فلم يقم إليه أحد ولم يأبه به أحد، وبعد دخوله دخل الشـــيخ محمد البهى شـــيخ الأزهر فى ذاك الوقت، فإذا بالحلقات تنفض ويقوم كل الطلاب ويلتفون حول الشـــيخ يلثمون يده ويتمسحون به ويلتمسون بركته.

فاغتاظ الخديوى فى نفسه واستدعى رئيس ديوانه وقال له: ادع الشيخ لزيارتى فى القصـر، فدعا الشـيخ لزيارته فى القصـر، واسـتقبله الخديوى بحفاوة بالغة ولكنه كان قد أضمر فى نفسه أن يضع له سماً فى فنجان قهوة، فأمر بإحضار القهوة وقرَّب إليه الفنجان وفيه السم، وإذا بالشـيخ وهو يتحدث معه يفتح فاه ويقول له: انظر، فوجد الخديوى بحراً محيطاً متلاطم الأمواج، ثم قال له: ماذا يفعل فنجانك فى هذا البحر المحيط، بسم الله، وتناول الفنجان وشربه ولم يضره السم.

والنماذج فى هذا الباب لا تعد ولا تحصـــى، وإنما ذكرت نماذج لنقتدى بها فى هدينا، فقد قال ســـيدى الإمام الجنيد ﷺ: (حكايات الصـــالحين جند من جند الله تقوى عزائم المريدين).

ما أقصـــده من هذا كله أن أهل الطريق هذه أوصـــافهم وهذه أحوالهم، علموا ثم عملوا، كانوا فى العلم لا يُباروا، وتصفح صفحات أئمة الصـالحين تجدهم فى العلم لا يضـــارعهم أحد من الســـابقين ولا المعاصـــرين ولا اللاحقين، بجد واجتهاد لا يعرف النوم ولا الرقاد فى تحصيل العلم، قال إمامنا أبوالعزائم ﷺ:

حصِّـــل العلم بعزم صـــادق   لا تكن فى العلم كسلاناً ملول

حصل العلم بعزم صادق

جدوا واجتهدوا فى العلم حتى فاقوا فى كل العلوم رؤساء هذه العلوم، هذا سيدى عبد القادر الجيلانى ﷺ وكان رجلاً أعجمياً لا يتقن العربية فى بدايته، أقبل على العلم وأتقنه حتى صـارت حلقته يحضـرها علماء اللغة ليسـتفيدوا من مفرداته اللغوية التى يسـوقها فى كلامه، وعلماء النحو ليتعلموا منه أسـلوب سـرده للكلام وعدم وقوعه فى لحن أو خطأ والفصـاحة الزائدة فى سوقه للأدلة والبراهين والشواهد من كلام العرب فى هذا الكلام، وعلماء التفسـير ليسـتقوا منه التفسـيرات الإلهية الطازجة النازلة من ســماء فضـــل الله ﷻ على قلبه والناطق بها لســـانه، وعلماء الفقه ليتعلموا منه كيفية استخلاص الأحكام من آيات كتاب الله ومن أحاديث رسول الله ﷺ،

حتى أن بعض الفقهاء ذهب إليه ليسـأله فى مسـألة فى الحيض وقال: يا سـيدى أريد أن أعلم فيها آراء الفقهاء، فقال: آراء الفقهاء فى هذه المسـألة تسـعاً وذكرها، ثم قال له: انتظر أزيدك منها، وزاده إلى تسـع وثلاثين مسـألة ليسـت مذكورة فى كلام الفقهاء السـابقين، وأراد أن يستزيده فقال: حسبى هذا يا سيدى - ومن أراد التفصيل فليرجع إلى سـيرته ﷺ وأرضـاه فى هذا الباب - أهل كل فن وأهل كل علم كانوا يحضرون مجلسه ليتعلمون منه فى فنهم وفى علمهم.

وليس هو بمفرده فى هذا الباب بل كل السـابقين واللاحقين من أئمة الصـالحين، كلهم علماء فقهاء حكماء كادوا من فقههم أن يكون أنبياء.

سيدى أبوالحسن الشاذلى ﷺ كان يحضر مجلسه أجلة العلماء فى زمانه، سلطان العلماء فى الفقه عزالدين بن عبدالسـلام، وأكبر محدث فى عصـره عبدالعظيم المنذرى، وأكبر مفسر فى زمانه ابن دقيق العيد، كل هؤلاء كانوا يحضرون مجلسه، ويقول سلطان العلماء العز بن عبدالسلام لهم بعد أن يتواجد عند سماع حديثه: هلموا استمعوا إلى هذا العلم فإنه حديث عهد بالله ﷻ.

وسيدى أحمد بن إدريس تلقى الطريق على يد شيخه سيدى عبدالوهاب التازى فى بلاد المغرب، وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى ذهب إلى غيره من الصـالحين حتى حصَّل ما معهم أجمعين، واحتار لمن يذهب، فرأى النبى ﷺ فى المنام، فقال: يا سيدى إلى من أذهب؟ قال: ليس لك إلا القرآن، فانقطع لتلاوة القرآن.

وأفاض الله ﷻ عليه من علوم القرآن وأسـرار القرآن وبيان القرآن ما أعجز كل أهل التفسير وأهل البيان، حتى أنه حُكى عنه - وذاك موجود فى سيرته - أنه ذات يوم جلس بعد صـــلاة الفجر يفســر آية فى كتاب الله، وظل يفســر فيها حتى حان الظهر، وصلوا الظهر وأخذ يفسرها بتفسير جديد إلى العصر، وصلوا العصر وأخذ يفسرها بتفسـير جديد إلى المغرب، وصـلوا المغرب وأخذ يفسـرها بتفسـير غريب وجديد إلى العشـــاء، واليوم الثانى كذلك، واليوم الثالث كذلك، وبعد ثلاثة أيام قال للحاضـــرين والسامعين:

والله لو أطال الله أعمارنا ومكثنا إلى يوم الدين ما انتهيت من تفســير هذه الآية وما كررت كلاماً قلته قط.

فمن أين هذا؟ فتح من الله! سر قوله تعالى فى (٦٥سورة الكهف):

﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾

بم نالوا ذلك؟

بحســن حبهم لرســول الله وحســن متابعتهم لأصــحابه الهداة، على هذا المنهاج مشوا وبهذه الأوصاف تخلقوا، أول أخلاقهم والتى أخذوها من حبيبهم ما وُصف به ﷺ من أهل الجاهلية قبل تلقيه الرســالة المحمدية بأنه الصـــادق الأمين، وأول أخلاق الصالحين الصدق ....

ونختم بسرِّ الصدق

الصـدق مع الله...... والصـدق مع خلق الله ..... إن كان فى لهو .. أو فى مزاح ... أو فى جد:

{إنـي لأَمْزَحُ وَلاَ أَقُولُ إلاَّ حَقّاً} [68]

لا يجوز أخذ العهد لمن لا يتحرى الصدق فى الأقوال والإخلاص فى الأعمال، فبداية الصالحين الصدق فى كل وقت وحين مع الله ومع خلق الله.

سيدى عبد القادر الجيلانى ﷺ عندما حصَّل العلم فى بلدته (جيلان) وما حولها من بلاد فارس – وكانت همته عالية فى طلب العلم، وهذا هو الأســـاس: "ما عُبد الله حقاً إلا بالعلم" – فاستأذن أمه فى السفر إلى بغداد حتى يستزيد فى تحصيل العلم، فأذنت له وجاءت بأربعين ديناراً وخاطتها له فى ثوبه من الداخل وقالت له:

اســـتعن بها على طلب العلم، لكن ما دمت تريد طلب العلم فيجب عليك أن تعاهدنى قبل أن تسافر، قال: على ماذا يا أماه؟

قالت: عاهدنى على ألا تكذب أبداً، فعاهدها، وخرج مع قافلة مسافرة إلى بغداد، وخرج قطاع الطريق وأخذوا يستولون على ما فى القافلة، وجاءت نوبته وأحاطوا به وقالوا: ما معك؟

٦٨ رواه الطبراني عن ابن عمر رضى الله عنهما.

قال: معى أربعون ديناراً، ففتشـــوه ولم يجدو ها فظنوا أنه يمزح فتركوه حتى ينتهوا من القافلة، ثم أخذوه إلى زعيمهم ورئيســهم وقالوا ســاخرين: إن هذا يزعم أن معه أربعين ديناراً، فاقترب منه وقال له: ماذا تقول فى ذلك؟

قال: نعم! معى أربعون ديناراً، قال: إنك تمزح، قال: لا ها هى فى جلبابى وقد خاطتها أمى لى من الداخل، قال: ولماذا لم تكذب يا فتى حتى تنجو من هؤلاء بمالك؟

قال: لأن أمى عاهدتنى ألا أكذب أبداً!!، فقال زعيمهم على الفور وقد هزَّه صدق الغلام: يا قوم هذا امتنع عن الكذب لأنه عاهد أمه ألا يكذب ونحن عاهدنا الله بـ (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فماذا نقول؟!!

فتاب الله عليهم على يد هذا الغلام وهو ذاهب لطلب العلم!! ولم يكن تشــيَّخ ولا لبس حلة المشــيخة ولا أُذن له فى دعوة الناس إلى الله ﷻ بعد وإنما بســبب خلق واحد من أخلاق المسلم الصـادق! لنعلم علم اليقين أن هؤلاء القوم لم ينالوها إلا بالأوصاف المحمدية والأخلاق القرآنية!

فجاهد فى هذا الباب تشهد العجب العجاب!، جاهد فى أخلاق الصالحين وأحوال المتقين عســى الله أن يفتح لنا أجمعين لنلحق بهم فى هذا الرحاب! فنشــرب شــرابهم! ونكرع من حياضهم! ونفوز بمقاماتهم ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمَّ بحمد الله تعالى

مفتاح رموز كتب تخريج الحديث كما ورد بالجامع الصغير (نقلاً عن كنز العمال):

(خ) للبخاري، (م) لمسلم، (ق) لهما، (د) لأبي داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائي، (ه) لابن ماجة، (٤) لهؤلاء الأربعة، (٣) لهم إلا ابن ماجه، (حم) لأحمد في مسنده، (عم) لابنه في زوائده، (ك) للحاكم في مستدركه وإلا فمبين، (خد) للبخاري في الأدب، (تخ) له في التاريخ، (حب) لابن حبان في صحيحه، (طب) للطبراني في الكبير، (طس) له في الأوسط، (طص) له في الصغير، (ص) لسعيد ابن منصور في سننه، (ش) لابن أبي شيبة، (عب)لعبد الرزاق في الجامع، (ع) لأبي يعلى في مسنده، (قط) للدارقطني في السنن وإلا فمبين، (فر)للديلمي في مسند الفردوس، (حل) لأبي نعيم في الحلية، (هب) للبيهقي في شعب الإيمان، (هق) له في السنن، (عد) لابن عدي في الكامل، (عق)للعقيلي في الضعفاء، (خط)للخطيب في التاريخ وإلا فمبين.(إنتهى).

الفهرست

نبذة عن المؤلف

العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد

۞ الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨م، الجميزة، مركز السنطة - غربية – ج م ع.

۞ المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٠م.

۞ العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية سابقاً.

۞ النشـــاط: يعمل رئيســـا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصـــر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية، كما يتجول فى جميع الجمهورية والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

بالإضـافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسـلام، وله الكثير من التسـجيلات الصـوتية والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

وأيضـــا مـن خـلال مـوقـعـه عـلـى شـــبـكـة الـمـعـلـومـات الـدولـيـة الإنـتـرنـت WWW.Fawzyabuzeid.com والذى تم افتتاحه بعد التطوير وأصـــبح أحد أكبر المواقع الإســـلامية فى بابه وجارى إضـــافة تراث الشـــيخ العلمى الكامل على مدى أربعين عام مضـــت، وجارى إضافة الوجه الإنجليزى للموقع حالياً.

۞ دعـــوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسـلامى، وإحياء روح الإخوة الإسـلامية، والتخلص من الأحقاد، والأحسـاد، والأثرة، والأنانية، وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصـــافية والصـــادقة بعد تهذيب نفوســـهم وتصفية قلوبهم.

٣- يعمل على تنقية التصـوف مما شـابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصـوف السلوكى المبنى على القرآن الكريم وعمل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وكذلك بترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة مؤلفات الشيخ ﷺ

عدد خمسة وستون كتاباً فى ست سلاسل

أولا : سلسلة من أعلام الصوفية، عدد : ٥

ىﻠ الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط) ٢- الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة.، ٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى. ٤- شيخ الأُسلام السيد إبراهيم الدسوقى.، ٥- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى

ثانيا : سلسلة الدين والحياة، عدد : ١٤

٦و٧- نفحات من نور القرآن ج١و٢

٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم

٩- نور الجواب على أسئلة الشباب

١٠- فتاوى جامعة للشباب

١١- مفاتح الفرج (٧ط) (ترجم للأندونسية)

١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان (ترجم للإنجليزية والأندونسية).

١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام

١٤- كيف يحبُّك الله (يترجم للأندونيسية)

١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (يترجم للأندونيسية)

١٦- المؤمنات القانتات.

١٧- فتاوى جامعة للنساء. ١٨- قضايا الشباب المعاصر.

١٩- زاد الحاج و المعتمر (٢ط)

الخطب الإلهامية: مج١ : المناسبات الدينية :

طبعة مجزأة، وطبعة فى مجلد واحد، عدد: ٧

ةى- ج١: المولد النبوى

٢١- ج٢: الإسراء و المعراج.

٢٢- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران،

٢٣-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر المبارك.

٢٤- ج٥ : الحج و عيد الأضحى المبارك.

٢٥- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء

٢٦- الخطب الإلهامية :مج١:المناسبات الدينية ط٢،كتاب واحد

ثالثا : سلسلة الحقيقة المحمدية: عدد: ٧

ئئج حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط)

٢٨- الرحمة المهداة.

٢٩-٣٠ إشراقات الإسراء:ج١(٢ط)، ج٢

٣١- الكمالات المحمدية

٣٢- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول صلى الله عليه وسلم (ترجم للإنجليزية)

٣٣-السراج المنير.

رابعا : سلسلة الطريق إلى الله : عدد : ١٢

ئ ءج أذكار الأبرار ٣٥- المجاهدة للصفاء و المشاهدة

٣٦- علامات التوفيق لأهل التحقيق

٣٧- رسالة الصالحين

٣٨- مراقى الصالحين.

٣٩- طريق المحبوبين و أذواقهم

٤٠- كيف تكون داعياً على بصيرة

٤١- نيل التهانى بالورد القرآنى

٤٢- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين (فى عاشوراء) للقاوقجى (تحقيق)،

٤٣- طريق الصديقين (ترجم أندونسي)

٤٤- نوافل المقربين. (٦٤)- أحسن القول.

خامسا: سلسلة دراسات صوفية معاصرة: عدد: ١٢ كتاب

٤٥- الصوفية و الحياة المعاصرة

٤٦- الصفاء والأصفياء.

٤٧- أبواب القرب و منازل التقريب

٤٨- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم إنجليزي)

٤٩- المنهج الصوفى والحياة العصرية.

٥٠- الولاية والأولياء

٥١- موازين الصادقين

٥٢- الفتح العرفانى ٥٣- النفس وصفها وتزكيتها،.٥٤- سياحة العارفين.

٥٥- منهاج الواصلين. (٦٥) نسمات القرب.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور: عدد : ٨

ئ ئ- مختصر مفاتح الفرج (٣ط)

٥٧- أذكار الأبرار (٢ط)

٥٨- أوراد الأخيار (تخريج وشرح) (٢ط)،

٥٩- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (٢ط).

٦٠- بشائر المؤمن عند الموت

٦١ - أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام،

٦٢- مختصر زاد الحاج والمعتمر

٦٣- بشريات المؤمن فى الآخرة.

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

١- ثانى اثنين (إذ هما فى الغار)

٢- بشـــائر الرحمن لأهل الإيمان،

٣- الإسلام واليهود

٤- طريق الصديقين إلى رضوان ربِّ العالمين (ط٢).

٥- أسرار العبد الصالح وموسى (ط٢)

٦- حقائق التصوُّف النقيّ.

أين تجد مؤلفات فضيلة العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ ش جوهر القائد الأزهر
الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ريحان،عابدين
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	٠١٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ ش جوهر القائد بالدراسة
الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ ش المشهد الحسينى بالحسين
القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ ش محمد عبه خلف الأزهر
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ ش شريف
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ ش البستان بباب اللوق
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ ش التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، ش النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش دحجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الفاطمية	٠١٨٥٢٠٠٨٤٦	ميدان الأزهر أمام الباب العباسي
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ ش جوهر القائد الأزهر
الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ ش الصنادقية بالأزهر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ش د.أحمد أمين، مصر الجديدة

		الإســــكندرية
كشك سونا	٠١٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب السكندرى	٠١٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطـة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
		الأقـــــاليم
كشك عبد الحافظ	محمد -------	الزقازيق، بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا أمام السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا ٩ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير سامى	٠١٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ ش السودان أمام السنترال
مكتبة الإيمان	--------	فايد- الحاج أحمد غزالى بربرى
كشك الصحافة	---------	السويس- شارع الشهداء، الحاج حسن محمد
دار الأحمدي للنشر	٠٦٨-٢٣٤٧٨٠٢	المنيا، أبراج الجامعة، أمام الشبان المسلمين
أولاد عبدالفتاح	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج ش احمد عرابي أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٦٩٥١٨٦١٦	قنا أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك هانى محمود	٠١٩٩٣٠٣٩٣٩	قنا ميدان الساعة، هانى محمود عبد المولى

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والدور القومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات.، ويمكن الإطلاع إليكترونيا على نبذة مختصرة عن المؤلفات مع المقدمة والفهرست على أكبر موقع علمى للكتاب العربى على الإنترنت www.askzad.com

كما يمكن تنزيل الكتب إليكترونيا بشروط الموقع.

أو تطلب من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ المعادي بالقاهرة، ت: ٠٠٢٠٢٢٥٢٥٢١٤٠ ، فاكس:٠٠٢٠٢٢٥٢٦١٦١٨

سماحة العارف بالله

فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد ﷺ

